

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

معارك سيف الدولة مع الروم في شعر المتنبي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب :

بدر الدين أحمد عبد الحفيظ علي

إشراف الدكتور:

محمد أحمد حامد إسماعيل

مايو ٢٠١١م

شكر وعرفان

أقدم شكري وعرفاني لكل من أعانني بالرأي أو بالتشجيع على إعداد هذه الرسالة ، وأخص بالشكر الدكتور محمد أحمد حامد إسماعيل الذي تحمّل عبء الإشراف على هذه الرسالة ، فقدّم لي المعلومات المفيدة وصحح ما فيها من أخطاء بلا كلل ولا ملل. وأخص بالشكر أيضاً أعضاء لجنة المناقشة والتحكيم وهم: الدكتور محمد أحمد حامد إسماعيل الرئيس ، والبروفيسور بله عبد الله مدني المناقش الخارجي ، والدكتور أبو صباح علي الطيب المناقش الداخلي ، فأرجو الاستفادة من ملاحظاتهم ، والتزم بتوجيهاتهم وتقويمهم.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، والههم نوابغ الكلم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد أشرف خلق الله أجمعين.

قسمت بحثي هذا إلى بايين، الباب الأول تناولت فيه وصف المتنبى لمعارك سيف الدولة م الروم، وقمت بتقسيم هذا الباب إلى فصلين، الفصل الأول تناولت فيه وصف ميدان المعركة، حيث وصف المتنبى الخيل التي أوردتها في وصفه لهذه المعارك، وتعرضت أيضاً لوصفه جيش سيف الدولة، ووصفه جيش الروم، وذكرت فيه أيضاً وصف المتنبى للقتال والاشتباك بين سيف الدولة والروم، وذكرت فيه أيضاً وصف المتنبى للسلاح المستخدم في تلك الحروب. وتناولت في الفصل الثاني وصف المتنبى لنتائج معارك سيف الدولة مع الروم، التي تتمثل في وصف النصر والهزيمة.

أما الباب الثاني فتحدثت فيه عن الخصائص الفنية لقصائد المتنبى في وصف معارك سيف الدولة م الروم، وقسمته إلى فصلين أيضاً، تناولت في الفصل الأول بناء قصائد المتنبى التي وصف بها هذه المعارك، وتحدثت فيه أيضاً عن موسيقى هذه القصائد من حيث الوزن والقافية وبحور الشعر.

وفي الفصل الثاني تناولت استخدام الصورة البيانية، فتحدثت عن التشبيه والاستعارة والكناية.

وجاء اختياري لهذا العنوان لإعجابي الشديد بشعر هذا الشاعر الذي صنّف من فحول الشعراء العرب، ولقيمة هذه القصائد التي تُعدُّ من أروع ما قال المتنبى من شعر. وكان هدفي من هذا البحث الوقوف على تلك الحقبة الزمنية من حياة المسلمين، ومعرفة ما قام به سيف الدولة من جهاد وقاتل الروم، وما حقته من انتصارات لها أثر على الإسلام والمسلمين ، ومن أهدافي أيضاً حث المسلمين على حماية الإسلام والمسلمين وأراضيهم وذلك لجهادهم ضد الكفار، واقتداء قوادهم بسيف الدولة.

وهدفتم أيضاً إلي معرفة كيفية وصف المتنبى لتلك المعارك، ودراسة قصائد المتنبى في وصف معارك سيف الدولة مع الروم من حيث البناء والموسيقى، ومعرفة البحور

المستخدمة في تلك القصائد، ومعرفة أكثر الصور البيانية التي استخدمها المتنبي لوصف هذه المعارك، ودراسة تلك الصور.

ولقد وصف المتنبي هذه المعارك، في الفترة التي صحب فيها سيف الدولة من سنة ٣٣٧ إلى ٣٤٥ هـ، وكان شعر المتنبي في تلك الفترة أغلبه في وصف هذه المعارك. ولقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في كتابتي لهذا البحث، لأنني وجدته الأنسب ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها كتاب العمدة في محاسن الأدب وفنونه لابن رشيق القيرواني، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وكتاب الطراز للعلوي اليمني.

الباب الأول وصف المعركة

الفصل الأول وصف ميدان المعركة

نتناول في هذا الفصل وصف الشاعر لميدان المعركة، حيث يتجه الشاعر إلى وصف الخيل، والجيش، كما يصف القتال والسلاح المستخدم في المعركة.

أولاً: وصف الخيل:

الخيال في ساحة المعركة تُحظى بعناية واضحة من المتنبي، فهو يصف سرعتها وقوتها ومشاركتها للفرسان في القتال وإلحاق الضرر بالعدو.

أ/ السرعة والقوة:

سرعة الخيل في ميدان المعركة تسترعي انتباه المتنبي، فيقف متأملاً قدرة تلك الخيول علي مباغاة العدو، حيث يقول: (١)

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ
شَوَائِلَ تَشْوَالِ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلِ

رمي سيف الدولة الروم بخيل أسرع إليهم من السهام، ولم يعلموا قبل ذلك أن تكون الخيل سهاماً، وفي البيت الثاني شبه الشاعر الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها، وهو يشير إلى سرعة سير الخيل وكثرة جريها، وهو دليل على كرمها وقوتها، والتشوال - وهو رفع العقرب ذنبها - أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بمرحها، وعلى عزة نفسها بصهيلها.

ونراه يصف سرعة جري الخيل ومواصلتها للسير في قوله: (٢)

يُذْرِي اللُّقَانَ غُبَاراً فِي مَنَاخِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسِ جُرْعُ

(١) ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق ٢٠١

شربت خيل سيف الدولة الماء من نهر آس وبلغت موضع اللقّان قبل أن تبتلع ما شربته، فماء هذا النهر في حلوها وقد وصل إلى حناجرها غبار اللقّان وبين اللقّان ونهر آس مسافة بعيدة.

وعبارة ابن الاقليلي^(١): ((وصلت اللقّان وحناجرها لم تجف من ماء النهر)) فهو يشير إلى شدة سرعة الخيل. وقال ابن جني^(٢) ((لا تستقر فتشرب، وإنما تختلس الماء اختلاصاً بمواصلة السير)). وقال أيضاً: ((ولا يجوز أن تكون شربت الماء قليلاً لعلمها بما يعقب في الركض، وكذا يفعل كرام الخيل)) وهذه الخيل كانت تختلس الماء، كما ذكر ابن جني، لأن المسافة بين الموضعين بعيدة، فلو شربت كل الماء الذي في فمها لوصلت إلي اللقّان وحناجرها جافة.

ويقول أيضاً: ^(٣)

دُونَ السَّهَامِ ۚ وَدُونَ الْفَرِّ طَافِحَةً ۚ عَلَى نُفُوسِهِمُ الْمُقْوَرَّةَ الْمُزْعُ

ذكر المتنبّي أنه قبل شدة الصيف، وشدة البرد، أن خيل سيف الدولة تأتي الروم وتعدو على نفوسهم بحوافرها، وهذه الخيول ضامرة وسريعة.

وروي ابن جني: ^(٤) (السَّهَام) بكسر السين و (دون الفر) بالفاء، وبهذا يكون المعني:

قبل أن تصل إليهم سهام الرماة، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل السريعة.

ويقول: ^(٥)

(١) شرح شعر المتنبّي أبي القاسم ابراهيم بن محمد المعروف بابن الاقليلي تحقيق مصطفى عليان - بيروت طباعة ونشر مؤسسة الرسالة - ط ١٩٩٢م - ٣٥٠/١

(٢) الفسر لابن جني، تحقيق رضا رجب، ط ١، ٢٠٠٤م، دمشق الناشر: دار الينايب للنشر، المجلد الثاني، ص ٣٣٣

(٣) ديوان المتنبّي ٢٠١

(٤) السَّهَام: وهج الصيف

(٥) الفسر ٣/٣٣٤

(٦) ديوان المتنبّي ٢٦٢

كَلَّمَا أَعْجَلُوا النَّزِيرَ سَيْرًا أَعْجَلَتْهُمْ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَ

وجد الروم كلما أرادوا الهجوم على قلعة الحدث، جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها، وهزمهم قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها.

ويقول أيضاً: ^(١)

فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ ^(٢) الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَ
خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّعْجُ عَلَيْهَا بَرَاقِعًا وَجِلَالًا ^(٣)

خيل سيف الدولة أتت تقطع الأرض سرعةً ، وعليها الأبطال مدججين بالسلاح، يقول العكبري : ^(٤) ((إنما الخوارق تجوب الأرض وتقطعها مسرعةً ، والحصر في قوله ما تحمل إلا الحديد والأبطال لمجرد التأكيد)) .

وأنتهم هذه الخيل وقد خفي لونها ، فلا يعرف الأدهم من الكميت والأشهب من الأشقر ، لها علامات من الغبار ، فقد تكاثف ذلك الغبار حتى صار على وجوها كالبراق وعلي متونها كالجلال ، فكل هذا نتيجة لسرعة الخيل الشديدة ، فالشاعر وضع صورة للخيل استطاع أن يوضح فيها سرعتها وقوتها .

ويقول : ^(٥)

فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِثُرَّةٍ مَنبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيَدِيهَا بِحِصْنِ الرَّانِ
حَتَّى عَبَّرنَ بِأَرْسَانِ يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ
سَوَابِحًا

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٢ .

(٢) خوارق الأرض : التي قطعت الأرض حتى بلغت أقصاها .

(٣) الجلال : جمع جل وهو ما كان علي ظهر الدابة تحت السرج .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ، بيروت- لبنان، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الناشر دار المعرفة.

(٥) ديوان المتنبي ص ٢٦٦ .

هذه الخيل تجري بسرعة كأن أرجلها بمنطقة منبج بالشام ، وأيديها بحصن الران بالروم؛ لبعدها عن أيديها عن أرجلها ، أي كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة ، وبين منبج وحصن الران مسيرة خمس ليال ، وهذه الخيل عبرت نهر أرسناس بالروم وبسرعة بالرغم من ماؤه البارد جداً ، وهذا كله دليل على سرعة هذه الخيل .

ب/ المشاركة في القتال :

شاركت الخيل في هذه المعارك، وكان لها دور في انتصارات سيف الدولة علي الروم ، فيصف لنا المتنبي مشاركة الخيل في هذه المعارك فيقول : (١)

حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالْعَوَالِي لَتَخُوضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالِ
وَلتَمُضِنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمْحُ مَدَاراً وَلَا الحُصَانِ مَجَالاً

إن صدور خيل سيف الدولة ، وعوالي رماحه ، عاهدته علي أن تخوض الأهوال والحروب دونه ، أي تكفيه إياها . وهذه الخيل تدخل في أضيق الأماكن في ساحة المعركة التي لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجالدة ، والتي لا يجد فيها الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة . فالشاعر أراد بهذه المبالغة أن هذه الخيل تدخل في كل مكان في المعركة حتى ولو كان ضيقاً ، وهذا دليل على مشاركتها في المعركة .

ويقول في موضع آخر (٢) :

وَحَيْلٍ بَرَاهَا الرِّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ (٣) فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٣) التعريس: هو نزول الراكب آخر الليل للاستراحة .

إن خيل سيف الدولة لا تزال دائبة التسيار في بلاد الروم ، فإذا نزلت في بلد ليلاً لم تقم به نهاراً ، بل تقيل ببلد آخر فالخيل تحمل المقاتلين من بلد إلى آخر حتى يقتلوا الروم، وبهذا تكون قد ساهت في هذا القتال .

وعن خوض الخيل للأنهار يقول : (١)

ضَرَبَتْهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلْفُؤُوا قُدَمًا فَقَدْ سَلِمُوا
تَجَقَّلُ الْمَوْجُ عَن لَبَّاتِ خَيْلِهِمْ كَمَا تَجَقَّلُ تَحْتَ الْغَارَةِ النَّعْمُ

ضرب سيف الدولة النهر بصدور خيله حين عبره ، وهذه الخيل تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة ، أي لا يهابون التلف ، بل يتهافتون عليه ، وفي هذا دليل على قوة الخيل وإقدامها بحيث أنه لا يوقفها برٌّ ولا بحرٌّ عن مدارها ، وهذه الخيل تسرع في سيرها ، والأمواج تتدفق مسرعة أمام صدورها، وسرعة هذا الموج تشبه سرعة المواشي عند الإغارة عليها .

ويقول الشاعر عن إعانة الخيل لسيف الدولة (٢) :

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
تَنْتَنِي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ
مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي عَلَى الْقَتَا مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتِهَا وَالْقَلَائِدُ

الشاعر تعينه علي توارد الغمرات (الشدة) في الحروب فرس تسبح في جريانها، يشهد بكرمها خصال جميلة ، وهذه الخيل - للين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت ، وأن سيف الدولة يخوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ، ولا تنال من أعجازها لأنها لا تهرب ، فقد استطاع الشاعر أن يصل بالقاري إلي مستوى مشاركة هذه الخيل في المعركة .

(١) ديوان المتنبي ص ٢٧٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

ج/ إلحاق الضرر بالعدو :

المقصود بالعدو هنا الروم، فقد ألحق سيف الدولة كثير من الضرر بالروم ، وفي ذلك

يقول المتنبي (١) :

وَتُضْجِي الحُصُونُ المُشْمَخَرَاتُ فِي الذَّرَى وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ
عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنْرِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بِالسَّيِّ أَمِدُ

إن خيل سيف الدولة أحاطت بالحصون الشامخة العالية في رؤوس الجبال إحاطة كاملة ، كإحاطة القلائد بالأعناق ، فأنت هنريط واللقان ببلاد الروم ، وساقتهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بالروم بكثرة الأسرى من الجواري والغلمان .

وعن الضرر الذي لحق الحصون يقول المتنبي : (٢)

فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغْيِرَةً قِبَاحاً وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَمِيلُ
سَحَائِبُ يَمْطُرْنَ الحَدِيدَ عَلَيْهِمْ فَكُلَّ مَكَانٍ بِالسَّيُوفِ غَسِيلُ

فاجأت خيول سيف الدولة الروم ، فلم يشعروا بها إلا وهي تغير عليهم ، فكانت قبيحة في أعينهم ، لسوء فعلها بهم ، وهي مع ذلك جميلة الخلق ، وهذه الخيل تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، وقد شبهها الشاعر بالسحب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال ، وجعل مطرها الحديد ، ولما جعل السيوف مطرا جعل إفنائها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم . وقال ابن جني (٣) : ((يجوز أن يعني بالسحائب الغبار الثائر)) وعلى هذا فهو يصف خيله بالكثرة سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(١) ديوان المتنبي ٢٠٥ .

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٧ .

(٣) الفسر لابن جني ٨١٩/٣ .

وهذه الخيل تسفك دماء الروم فيقول المتنبي في ذلك (١) :

وَعَادَتْ فَظَنُّوْهَا بِمَوْزَارٍ قَفْلًا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولَ قُفُولُ
فَخَاضَتْ نَجِيعَ القَوْمِ خَوْضًا كَأَنَّهُ بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ

وعادت خيل سيف الدولة ، فظنها الروم راجعة إلي بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار - حصن ببلاد الروم - يعني أن عودها الذي ظنوه رجوعاً ، كان دخولاً عليهم ، فخاضت الخيل الدم الذي سفكته من الروم خوضاً وافراً تاماً ، حتى هان غيره بالإضافة إليه ، فكان كفيل بمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ، وهذه صورة توضح قوة خيل سيف الدولة ومقدرتها علي خوض المعركة ، وتدميرها للعدو .

ويقول أيضا (٢) :

تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسَلٍ بِهِ القَوْمُ صَرَعى وَالدِّيَارُ طُلُوقُ
وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةُ أُمِّ اللَّبْنِيْنَ تَكْوَلُ

تسير النيران مع هذه الخيل أينما سارت ، أي أن سيف الدولة ورجاله كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلاد الروم ويقتلون أهله، فتخرب ديارهم وتبقى آثارها، وعادت هذه الخيل ومرت في أهل ملطية، فسفكت دماءهم حتى خاضت فيها، ثم جعل الشاعر ملطية أم لأهلها وجعلهم كالبنين لها، وقد فقدتهم حين قتلوا .

وهذا تصوير عبر عن مدى هذا القتل والخراب ، ويقول أيضا (٣) :

وَأَضَعْنَ مَا كُفِّفَتْهُ مِنْ قُبَاقِبٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ المَاءَ فِيهِ عَليْلُ
وَرُغْنَ بِنَا قَلْبِ الفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سُيُولُ

(١) ديوان المتنبي ٢٢٧.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٨.

(٣) ديوان المتنبي ٢٢٨.

وهذه الخيل أضعفت نهر قباقب عند عبورها له بكثرة قوائها وشدة تزاخمها ، فأصبح ماؤه كالعليل الساقط القوة ، فأصبح جريانه ضعيفا ، ولما عبرت الخيل الفرات أفزعته من كثرتها فشبه الشاعر الخيل بالسيول ، والرجال بما تحمله السيول ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا ، لأن الروح يكون في القلب . فهذه هي الخيل التي تخوض المعارك مع سيف الدولة .

ويقول (١) :

يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءً عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ
وفي بطنِ هنزيطٍ وسمينٍ للطُّبَى وصُمَّ القَتَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ

كان الموج ينجفل من قوائم الخيل ويجري أمامها وهي تتبعه فجعل ذلك كالمطاردة ، وهذه الخيل لقوتها كانت لا تكثرث لغمرة الماء بل سواء لديها الغمرة - وهي معظم الماء - والمسيل - وهي مجرى الماء - فتسبح في الغمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه ، وكانت الطبى (السيوف) والرماح قد أفنت أهل ملطية، ولم يصلوا إلي بطن هنزيط وسمين ، فكأن أولئك الهالكين بدل في هاتين البلدتين للسيوف والرماح ولأصحاب السيوف والرماح ولأصحاب الخيول ، يهلكونهم متى شاءوا ، ويقتلونهم متى قفلوا فهذه الخيل خير عون لهم في هذا القتال .

كانت خيل سيف الدولة مشهورة لدى الروم يقول الشاعر في ذلك (٢) :

طَلَعَنَ عَلَيْهِمُ طَلَعَةً يَعْرِفُونَهَا لَهَا غُرَّرٌ مَا تَنْقَضِي وَحُجُولُ
وَبِتَّنَ بِحِصْنِ الرِّانِ رَزْحَى مِنْ الوَجَى وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلُ (٣)

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) رزحى : تعبته معييه - الوجى : وجع بحافر الفرس من كثرة المشي .

طلعت خيل سيف الدولة علي أهل هذين الموضعين طلعة يعرفونها لأنها متكررة عليهم ، وهذه الطلعة في شهرتها كالخيل الغر المحجلة، وقد عادت هذه الخيل إلي حصن الران ، وقد تعبت وقلت بعد أن قتلت كل بطل ، وأذلت كل عزيز .
وهكذا كانت خيل سيف الدولة تشارك في كل معارك سيف الدولة مع الروم.

المبحث الثاني

وصف الجيوش

إن المتنبّي يزوج في وصف الجيوش بين جيش سيف الدولة وجيش الروم ، وينعت كلاً منهما بالصفات التي يراها ، وسنحاول في هذا الفصل أن نفصل الحديث عن صفات كل جيش .

أ- وصف جيش سيف الدولة:

وصف الشاعر جيش سيف الدولة بصفات كثيرة ، فوصفهم من حيث كثرة عددهم ، وعدم خوفهم من العدو ، وقوتهم وشجاعتهم ، وتحملهم لكبار المهام ، وتعرضهم لغارات الروم ، وكرمهم ، وعتادهم وجاهزيتهم وحبهم للقتال ، حيث يقول (١) :

وَجَيْشٌ يُنْتَبِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيْقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنًا رَطْبًا
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مَعَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهِ مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبًا

كان لسيف الدولة جيش إذا مر بجبل كأنه جبل آخر من كثرته ، وهو يهدّ هذا الجبل ويزعزعه عن موضعه ، وهذا الجيش كالريح الشديدة . ثم وصف الشاعر الغبار الذي أثاره ذلك الجيش فذكر أن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى إن النجوم اختفت من كثرة هذا الغبار الذي هو دليل علي كثرة هذا الجيش .

ويصف الشاعر جنود سيف الدولة بأنهم أبناء حرب فيقول (٢) :

أَبِالْعَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ !؟

قام الروم بتهديد سيف الدولة بقتالهم ، فتعجب المتنبّي من ذلك التوعد ، إذ كيف يهددنا الروم بالحرب ونحن أبناء الحرب لا تنفك عنها ، وليس لنا منزل سواها ، فكأننا نجوم ،

(١) ديوان المتنبّي ٢١١ .

(٢) ديوان المتنبّي ١٩٩ .

والغمرات بروج تلك الروم ، فكما لا تزايل النجوم بروجها فكذلك نحن لا نزايل الغمرات ، فهذا وصف لجيش سيف الدولة بين مدى قوتهم وشجاعتهم واستعدادهم لخوض المعارك في أي وقت . ويقول (١) :

وَقَوَارِسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَهَا فكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الحَيَوَانِ

جنود سيف الدولة هم فرسان ، يعدون الموت في الحرب حياة ، لبقاء ذكراهم بعد موتهم ، حتى كأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان إذا مات ينسى .

وعن كثرة جيش سيف الدولة يقول الشاعر (٢) :

دَمَّ الدُّمُسْتَقُّ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ
فِيهَا الكَمَاءُ التِّي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الحِيَادِ التِّي حَوْلِيهَا جَدَعُ (٣)

رأى الدمستق قائد الروم كتائب سيف الدولة فظنها شرارم قليلة، ولما رأى الدمستق جيش سيف الدولة كأنه الغمام الأسود ، ووجد الأمر علي خلاف ما أدركته عيناه ذم عينيه ، وإنما خص الغمام الأسود ، لأنه أهول منظرا وأكثر في السماء إجراء وتراكما ، ولأن فيها تكون الصواعق أكثر من غيرها . فهذا إشارة إلي الكثرة وهذا الجيش العظيم كل طفل منهم كأنه رجل ، لشدته ، وكل مهر حولي - الذي أتى عليه الحول - من افراس سيف الدولة كأنه جذع - الذي تم له حولان - أي أن حولي مهرهم جذع من أفراس غيرهم في قوته وشدته .

يصف الشاعر قوة وشجاعة جيش سيف الدولة فيقول (٤) :

هَلَّا عَلَى عَقَبِ الوَادِي وَقَدْ صَعَدَتْ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠١ .

(٣) الكماء : المتكفي في السلاح أي المستتر .

(٤) ديوان المتنبي ص ٢٠٢ .

يخاطب الشاعر الروم قائلاً : هلا وقفتم وحاربتهم حين عبرنا الوادي وصعدنا عقبة ، وكانت خيلنا كالأسود ، تمر فرادى للحرب لا يتوقف بعضها لبعض . وهذا دليل علي أن كل فارس من جيش سيف الدولة يمثل جيشا لوحده، لأنه يسير كل فارس بمفرده لا يحتمي بالآخرين وهو دليل قوتهم وشجاعتهم.

وعن عظم هذا الجيش وقوة بأسه يقول الشاعر (١) :

فِي خَمِيسٍ مِّنَ الْأَسْوَدِ بَيْيسٍ يَفْتَرِسْنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ

إن قلعة الحدث تمشي آمنة ، وهي في جيش عظيم من الفرسان كالأسود ، فهم يقتلون النفوس ، وينهبون الأموال .

ثم تحدث الشاعر عن تحمّل جيش سيف الدولة كبار المهام فيقول (٢) :

يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ

يقوم سيف الدولة بوضع همومه في جيشه ، بما تقتضيه الغارات والغزوات ، وهو أمر عجزت الجيوش الأخرى عن تحمله برغم عظمها . فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن المعنى في صورة تصل إلي القارئ بوضوح تام .

وعن تعرض جيش سيف الدولة لغارات الروم يقول الشاعر (٣) :

مُتَّصِعَاتِكَيْنَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

وجنود سيف الدولة علي عظمة ملكهم وتعرضهم للغارات وشدائد الأسفار ، فهم مع شأنهم هذا يتواضعون للناس ، ونجد الشاعر قد جمع في هذا البيت عددا من الصفات التي

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٧.

وصف بها جيش سيف الدولة ، فقد وصفهم بعظمة ملكهم ، ووصفهم بالشجاعة ، ووصفهم بالتواضع .

ويصف الشاعر عظم جيش سيف الدولة فيقول (١) :

وَرُبَّ جَوَابٍ عَن كِتَابٍ بَعَثْتَهُ وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِرِينَ قَتَامٌ
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ وَمَا فُضَّ عَنْهُ بِالْبَيْدَاءِ خِتَامٌ
حُرُوفٍ هَجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ

بعث سيف الدولة جيشا عظيما ، وهذا الجيش تدل على كثرة وعظمة الغبار الثائر ، وهذا الجيش كثير تضيق به البيداء قبل انتشاره فيها ، فكيف يكون حاله إذا انتشر وتفرق للحرب والإغارة ، فجعل الشاعر الجيش كتابا ، والغبار الثائر عنوان ذلك الكتاب ، ولما جعل الجيش كتابا ، جعل حروف هذا الكتاب ثلاثة هي : الفرس ، والرمح والسيف ، فقد استطاع الشاعر أن يعبر عن عظم هذا الجيش بأن جعل الصحراء تضيق به ، والأعظم من ذلك أن جعل ضيق البيداء عنه وذلك قبل انتشاره ، فهو وصف معبر عن عظم هذا الجيش .

ويتحدث الشاعر عن إعانة ذلك الجيش لسيف الدولة فيقول (٢) :

تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمُسَّ بِنَا الْجَيْشِ لَمَسَةً نُبَارٍ إِلَى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ الْيَمْنَى
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنْاسٌ نُتْبِعُ الْبَارِدَ السُّخْنَا

طلب الجيش من سيف الدولة أن يتجاوز القرى إلي الصحراء وأن يحارب بهم الروم ، وأن يدنوهم منهم دنو اللامس من الملموس ، فهم وقتها يسابقون سيف الدولة إلي تبليغه ما يريد الظفر ويذكر جيش سيف الدولة أن سفكهم لدماء الروم قد تقادم عهده، أي أن آخر مره سفكوه في اللقان ، ذكروا أنهم يريدون أن يسفكوا دم الروم ويتبعوا ذلك الدم الذي برد فيه اللقان دما

(١) ديوان المتنبي ص ٢٥٠ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠٣ .

سخنا . وهذا دليل علي تعودهم علي الحرب وتشوقهم إليها، ومواصلتهم لقتل الروم وسفك دمائهم.

بعد أن وصف الشاعر سيف الدولة بالقوة والشجاعة والتضحية وغيرها من الصفات الجميلة ، جاء ووصف ذلك الجيش بالجبن ، وذلك عندما انهزموا بالقرب من بحيرة الحدث وكان ذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان الانتصار في بداية المعركة لسيف الدولة ، ولكن الدمستق جمع جنده وهجم علي سيف الدولة في آخر النهار ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفرد أحد ، فمن نجا من العقبة نهارا لم يرجع ، ومن تبقى تحتها لم تكن له النصر ، وتخاذل الناس عنه وانهزم سيف الدولة ، وقُتل الدمستق من قتل وأسر من أسر .

ففي وصف تلك المعركة قال المتنبى القصيدة التي مطلعها^(١) :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَخْدَعُ إِنَّ قَاتِلُوا جَبْنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا وَفِي
أَهْلُ الْحَفِيزَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا وَزَعُوا^(٢)

فالشاعر يصف في مطلع هذه القصيدة جيش سيف الدولة بالجبن ، وقال : إن أكثر الناس ينخدعون بهؤلاء الجنود ، وأنا لا أنخدع بهم فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل ، لأنهم يجبنون عند القتال ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل، فلا أغتر بقولهم .

ووصفهم أيضا بأهل الحمية والأنفة في حال عدم تجربتهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، فتكف عن مخالطتهم ، وخلاصة القول أن الشخص لا تعرف حقيقته إلا بعد التجربة ، لأنك ربما تراه وتظن أنه قوي وشجاع ، ولكن بعد التجربة تتضح لك حقيقته .

(١) المرجع السابق ٢٠٠ .

(٢) الحفيظة : الحمية والأنفة ، يزع : يكف .

وقد وصف الشاعر هزيمة ذلك الجيش ، ووصف هذا الجيش بكثير من الصفات السيئة
ولكننا سوف نذكر ذلك في باب نتائج المعركة .

ب/ وصف جيش الروم:

يتجه المتنبى إلي وصف جيش الروم بصفات تكاد تكون مقابلة تماما لما وصف به جيش
سيف الدولة، فهو يصفهم بالجبن والخوف، والضعف وغيرها من صفات الضعف. يقول
المتنبى (١) :

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْ فِيهِ عَزُولُ

إذا الإنسان لم تدخله شجاعته في القتال ، وتحمله علي مقارعة الأقران ، فإن عزل
العازل لا يدخله في ذلك القتال ، يعني أن التحريض لا يحوك الجبان ، بل الذي يحركه هو
الشجاعة ، ويقصد بذلك أن الروم جبناء .

وأیضا يصفهم بالجبن بقوله (٢) :

إِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ طَلَّبَ الطَّعْنَ وَخَدَّهُ وَالنِّزَالَ
أَفْسَمُوا لَا رَأْيَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرَّجَالَ

إن الجبان إذا خلا بنفسه أظهر الشجاعة، ويظن عنده غناء ويطلب الطعان والمنازلة،
وإذا جاءت الحرب انثنى ، يريد الشاعر أن الروم شجعان خارج أرض المعركة. وقد حلف الروم
ليحضرن عقولهم ، وليعملن أفكارهم في قتال سيف الدولة وكذبهم عنه كثيرا ما رأوه بعيونهم مما
يوهمهم أن في إمكانهم محاربتة، ولما امتحنوا بأسه وعابنوا أفاعيله، علموا أن عيونهم غرتهم
قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومته وحينئذ بطل اعتمادهم علي عيونهم، واعتمدوا علي رؤية القلب

(١) ديوان المتنبى ٢٢٩ .

(٢) ديوان المتنبى ٢٦٤ .

، فصاروا يرجعون في الرأي إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم.

ويعصف خوف الروم من سيف الدولة قائلاً (١) :

حِذَارًا لِمُعْرُورِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً إِلَى الطَّعْنِ قُبْلًا مَا لَهْنٌ لِجَامٍ (٢)

الروم لا ينامون حذراً من سيف الدولة الذي يركب الفرس بلا سرج إلى الحرب، فهو لا يتوقف إلي أن تُسرج وتُلجم إذا دعت الحرب، فقد وصف الشاعر الروم بالخوف الشديد، ودليل خوفهم هو عدم نومهم خوفاً من سيف الدولة، وفي المقابل وصف سيف الدولة بالشجاعة وحبه للحرب، لأنه يركب الفرس بدون سرج ولا لجام إذا دعت الضرورة.

ويقول مخاطباً سيف الدولة (٣) :

إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِيكَ أَجْرَتَهُ وَسَيِّفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارَ تُسَامُ (٤)
لَهُمْ عَنكَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ وَحَوْلَكَ بِالْكَتُبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ

يوصل الشاعر في وصف خوف الروم من سيف الدولة، حيث أنه إذا خاف ملك من ملك آخر فعادة سيف الدولة أن يجيره، وهؤلاء الروم خافوا من سيفه، فالتجئوا إليه، وكلفوه إجارتهم، فهم في الحرب يتفرقون عنه خوفاً من سيوفه، وهم يجتمعون حوله ويزدحمون عليه طلباً للصلح، ويرسلون إليه كتباً لطافاً يسألونه فيها العفو، وإنما جعلها لطافاً، لأنها كتب مبعوثة على كتمان فكل كبير وبطريق - القائد من قواد الروم - يتقرب إليه بكتاب لطيف، سراً عن صاحبه.

(١) ديوان المتنبي ٢٤٩ .

(٢) معروري : أعروري الفرس : إذا ركبته عرباناً بلا سرج ، قبلا : متقدماً إلي أعوانه .

(٣) ديوان المتنبي ٢٤٩

(٤) تسام: تكلف .

فقد وصف الشاعر خوف الروم من سيف الدولة، بإظهار ضعفهم وعدم مقدرتهم علي قتال سيف الدولة، وليس لهم في قتال سيف الدولة لهم إلا أن يلتجئوا إلى شخص قوي يحتمون به من سيف الدولة، فلم يجدوا إلا سيف الدولة، فذهبوا إليه في تضرع بأن يوقف عنهم القتال، فهذه الأبيات عبرت عن خوف الروم من سيف الدولة وإنكسارهم إليه.

ويستمر الشاعر في وصف الروم بالخوف من سيف الدولة قائلاً^(١) :

وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدْعُ^(٢)

احتمي الروم بالجبال خوفاً من سيف الدولة، ولكن اعتصامهم بالجبال لا ينفعهم، لأنها لا تحميهم، وحتى لو تنصرت الأوعال التي في الجبال لاصطادها سيف الدولة بقوته، وهذا دليل ضعفهم وإظهار قوة سيف الدولة.

كثرة العدد وحدها لا تكفي للانتصار في المعركة، وهذا ما ذكره الشاعر في قوله^(٣):

إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَيْثِ إِلَّا فَرِيْسَةً غِذَاهُ وَلَمْ يَنْفِكْ أَنْكَ فَيْلٍ^(٤)

إن كثرة الروم وحدها لا تنفعهم، فلا بد من الشجاعة والعزيمة والإصرار، فالروم مع كثرة عددهم جبناء ضعفاء، وشبه الشاعر ذلك بالفيل مع الأسد، فالفيل ضخم الحجم ولكن الأسد أشجع منه بالرغم من أنه أصغر حجماً منه، ويستطيع أن يفعل الأسد بالفيل ما يريد فعله، لأنه شجاع قوي. إذاً فالقوة ليست في الكثرة ولا في الضخامة وإنما هي بالشجاعة.

وعن عتاد ذلك الجيش يقول المتنبي^(٥) :

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرَوْا بِجِيَادٍ مَالَهُنَّ قَوَائِمُ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ

(١) ديوان المتنبي ٢٠٢

(٢) الأعصم: الوعل الذي في يديه بياض، الصدع: الوعل بين السمين والهزيل.

(٣) ديوان المتنبي ٢٨٧

(٤) ديوان المتنبي ٢٤٦

في هذين البيتين يرسم لنا الشاعر الهيئة التي جاء عليها جيش الروم، فهم أتوا مدججين في السلاح، ولكثرة العتاد على خيولهم كأنها بلا أرجل، ولم تعرف بينهم وبين سيوفهم، لأن عمائم وثيابهم كانت من الحديد، وهذه الصورة تدل على خوفهم الشديد من سيف الدولة.

المبحث الثالث

وصف القتال والسلاح

أ/ وصف القتال:

وصف المتنبي القتال بين سيف الدولة والروم، من التحام الفريقين، وشدة القتال بينهما، ووصف لنا الغبار الناتج من ذلك القتال.

شدة التحام الفريقين يقول المتنبي^(١):

مَضَى بَعْدَمَا تَفَّ الرَّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا

التحام الفريقين واشتباك أشد الاشتباك، واستمر هذا الاشتباك زمناً طويلاً، حتى اشتبكت الرماح مع بعضها البعض وتداخلت، فشبّه هذا الاشتباك باختلاط الأهداب العليا والسفلى عند النوم. فقد استطاع أن يرسم لنا صورة واضحة لهذا الاشتباك الضيف. ويقول^(٢):

إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجاً حَالاً بَيْنَهُمَا أَظْمَى تَفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضَّلْعُ

إشتد القتال بين الفريقين، والاشتباك بينهما شديد، والرماح تطلق في توالي، حتى أنه إذا دعا الرومي رومياً آخر لينصره، حال بينهما رمحٌ أظمي - أسمر - فيفرق بينهما، كما يفرق أحد الأضلاع من الآخر، فهذه الصورة بينت مدى اشتباك الفريقين.

ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن كيفية ضرب سيف الدولة للروم قائلاً^(٣):

تَشُقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَأْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ

(١) ديوان المتنبي ٢١٠

(٢) المرجع السابق ٢٠١

(٣) المرجع السابق ٢٠٢

فتأتي في شدة هذا القتال الخيول الخفيفة السريعة من جيش سيف الدولة، فتشق الروم تحمل رجالاً يقتلونهم، فكان من قتل من الروم وجرح أكثر ممن سلم وتخلص من القتال والجرح. وكل هذا دليل على قوة جيش سيف الدولة وشجاعتهم.

وفي بعض الأحيان تأتي هذه المعارك نتيجة لخاطرة عرضت لسيف الدولة. فيقول الشاعر في ذلك^(١) :

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحَرَّانٍ لَبَّتْهَا قَنَاءٌ وَنُصُولُ

كان سيف الدولة يخوض بعض هذه المعارك من غير استعداد، لأنه تأتيه خاطرة بأن يخوض معركة، وحينها يجد جيشه جاهزاً بأسلحته ومرحياً بالفكرة، ويقوم بالهجوم على الروم، فهذه الجاهزية من الجيش التي تلبى مجرد خاطرة عرضت لقائدهم، فهي أكبر دليل على شجاعة هذا الجيش وقوته.

ويصف لنا الشاعر سيف الدولة في المعركة قائلاً^(٢) :

فَأُورِدَهُمْ صَدْرَ الْحُصَانِ وَسَيْفَهُ فَتَى بِأَسْهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ

جعل سيف الدولة صدر حصانه وسيفه مورداً للأعداء. أي أنه أقترحهم بفرسه وقتلهم ، وهو فتى شجاعته مثل عطائه، فكل واحد منها جزيل. فاستقبله للروم بصدر حصانه دليل على شجاعته وثباته في المعركة.

ثم يصور لنا الشاعر شدة القتال بين الفريقين قائلاً^(٣):

بِنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَائِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمُ

(١) ديوان المتنبي ٢٢٧

(٢) المرجع السابق ٢٢٨

(٣) المرجع السابق ٢٤٥

بنى سيف الدولة قلعة الحدث، بعد أن تقاتل مع الروم قتالاً شديداً، ورماح المسلمين تقارع رماح الروم، وكان الموت يسلب الأرواح بأعداد كبيرة، إذن لم يكن بناء هذه القلعة عن طريق السلم، بل جاء بعد قتال واشتباك وقتل الأرواح، فانتصر سيف الدولة على الروم، ونال منهم ما أراد.

وعن إجادة جيش سيف الدولة للضرب يقول الشاعر^(١):

إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرَبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُوبُ فِي الجَوِّ تَصْطَدِمُ

اشتد الحال بالروم وعندما تكون الضربات على رؤوسهم في وقت واحد، تتوافق رؤوسهم في انحدارها، ويصطدم بعضها ببعض، أي أن كل هذه الضربات التي تقع على رؤوس الروم تقطعها، وفي ذلك إشارة إلى إجادة جيش الدولة الضرب بالسيوف، وفيه إشارة أيضاً إلى كثرة قتلهم للروم.

ويتحدث الشاعر عن تعرض ابن شُمَيْشِق للضرب قائلاً^(٢):

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الفُرْسَانَ سَابِعَةً صَوَّبَ الأَسِنَّةَ فِي أُنْتَائِهَا دِيَمُ
تَخُطُّ فِيهَا العَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ

اشتدت الحرب، وتبادل الفريقان القتال الرماح، وقد كثر وقع الرماح على ابن شُمَيْشِق أحد بطارقة الروم، كأنها المطر في كثرتها، ولكن درعه المحكمة ردت عنه رماح فرسان سيف الدولة، وهذه الدرع حصينة جداً، فكانت الرماح تخط عليها خطأ ولا تنفذها كما يخط القلم على الألواح ولا ينفذها.

سيف الدولة لا يتوقف عن قتال الروم، ويقول الشاعر في ذلك^(٣):

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا

(١) ديوان المتنبي ٢٧١

(٢) المرجع السابق ٢٧٢

(٣) المرجع السابق ٢٠٣

عرف الروم أن سيف الدولة لا يكف عن قتالهم، وعلموا أيضاً أن سيف الدولة ورجاله إذا رجعوا من بلاد الروم عادوا إليهم وقاتلوهم، وفي هذا دلالة على قوة سيف الدولة وشجاعته.

وعن قصد سيف الدولة ورجاله للموت يقول الشاعر^(١):

قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُنَا لِلسَّيُوفِ هَلْمَنَا

كان سيف الدولة ورجاله يقصدون الموت ولا يهابونه، لأنهم أبناء حرب، وكانوا في تشوقهم وقصدهم للموت، مثل قصد الحبيب لقاء محبو بته، أي أنهم يذهبون إلى المعركة في شوقٍ إلى القتال حتى ولو كان فيه موتهم.

ويصف الشاعر اشتداد المعركة وحال المسلمين بقوله^(٢) :

وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةً وَالسَّيْرِ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإِمْكَانِ
وَالطَّرِيقُ ضَايِقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَتَا وَالْكَفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإِيمَانِ
نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدُنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ العِقْبَانِ
فَرَمَوْا بِمَا يَزُمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانَ^(٣)

اشتد الحال بسيف الدولة ورجاله عند مدخل بلاد الروم، فلم يستطيعوا الرجوع لأن في رجوعهم منه ذلٌ وعار، ولم يستطيعوا التقدم لكثرة الجيش أمامهم، وضائق الطرق بكثرة الرماح، والروم قد أحاطوا بهم، وفي هذه الأثناء انتفض جيش المسلمين وهجم على الروم، فنظر الروم إلى سيوف المسلمين وهي ترتفع في الهواء، والمسلمون فوق خيل سريعة وخفيفة مقنعون في الحديد، فرمى الروم قسيهم يدوسونها وهربوا.

ويخاطب الشاعر واصفاً ضرب سيف الدولة للروم قائلاً^(٤) :

(١) ديوان المتنبي ٢٠٣

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٧

(٣) الحنية: القوس، المرنان: الكثير الرنة

(٤) ديوان المتنبي ٢٦٧

مَازِلَتْ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الدُّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ
خَصَّ الْجَمَاحَ وَالْوُجُوهُ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانٍ

ما زال سيف الدولة يضرب الروم ضرباً متتابعاً، وكان ذلك الضرب في أعالي الأبدان، ويعمل السيف الواحد عمل سيفين من القتل والسرعة، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً فكأنه سيفان، وكان سيف الدولة يضربهم في وجوههم، وفي رؤوسهم، حتى كأنه أعطى أجسامهم الأمان بالا يمسخها بضرب.

ويوضح لنا الشاعر كيفية وقوع الضرب والطعن علي الروم قائلاً^(١):
يَغْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفْصَلًا بِمُتَقَفٍ وَمُهْتَدٍ وَسِنَانِ
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْوَانِ

إنهال سيف الدولة على الروم ضرباً وطعنأ، فكانت السيوف والرماح تنصب عليهم في تواصل مستمر كأنها المطر النازل من السماء، فلما وقعت هذه الرماح في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين جاءوا يطلبون ثأرهم. وهذا من قول الله تعالى: {لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} (٢).

ومن الأشياء التي وصفها الشاعر في المعركة، هي الغبار الذي ينتج عن كثرة الجيوش واشتداد القتال. فيقول في ذلك^(٣) :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُنَّ بِالْأَذَانِ

قاد سيف الدولة خيله في جيش عظيم، قد تكاثف غباره حتى ستر العيون، حتى صارت الخيل لا تبصر شيئاً، ولكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها حتى إذا كان هناك شيء أمامها تعرفه، فكانها تبصر بآذانها.

(١) ديوان المتنبي ٢٦٧

(٢) سورة عبس ، الآية (٣٧).

(٣) المرجع السابق ٢٦٦

ويقول (١):

والتَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّانَا وَيُقَعَّتْهَا وَالشَّمْسُ تُسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتُمُ

جاء سيف الدولة إلى مدينة حران بالشام، وعم غبار خيله تلك المنطقة، وتكاثف حتى حجب ضوء الشمس، فهي تظهر من خلاله أحياناً، ثم تعود فتحتجب مرة أخرى.

في بعض المعارك يشتد تكاثف الغبار، حتى تتعدم الرؤية فيه، وفي ذلك يقول

الشاعر (٢):

تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَا شَمْعٌ

عندما اشتد القتال بين الفريقين، عم الغبار ذلك المكان، وأظلمت الحرب به، حتى أصبحت الخيل لا تزي شيئاً، فقد هدى عيونها أسنة الرماح.

بعد أن تحدثنا عن وصف القتال، ننقل إلى وصف المتنبي للسلاح ودوره ف هذه

المعارك، ففي السيف يقول الشاعر (٣):

أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كَنْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ

والمشرفية لا زالت مشرفية دواء كليل كريم أوهي الوجع

إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف، فسيف الدولة يقوم بحوزة المجد وكسب

المال بالسيف والطنن، لم يترك السيف ويطلبهما بالسؤال، وأن هذه السيوف هي دواء الكريم أو

داؤه، لأنه إما أن يدرك بها طلبه فتكون له دواء، وإما أن يقتل بها فتكون عليه دواء. ويقول

أيضاً (٤):

والذي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرْبِ بِكَفِّكَ قَطَعَ الْأَمَالَ

(١) ديوان المتنبي ٢٦٩

(٢) المرجع السابق ٢٠١

(٣) المرجع السابق ٢٠٠

(٤) ديوان المتنبي ٢٦٣

إن السيف الذي قطع رقاب الروم من قبل، قطع آمال إخوانهم من الظفر بسيف الدولة، فتركوه، فالسيف هو الآلة التي قتل به سيف الدولة من قتل الروم، وهو الذي جعل الأحياء منهم يخافون ويبتعدون أمناً وسلامة لرقابهم.

يُفضل سيف الدولة استخدام السيف على الرمح في القتال، ففي ذلك يقول الشاعر^(١):
حَقَرَتِ الرُّدِّيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمَحِ شَاتِمٌ
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ

ترك سيف الدولة القتال بالرمح فازدراها؛ لأنها سلاح الجبناء وعمد إلى السيف؛ لأنه سلاح الشجعان؛ لاقتضائه مقارنة ما بين المتقاتلين، ولما أثر السيف على الرمح، صار كأن السيف يُعَيِّرُ الرمح، لأنه يطعن من بعيد، والسيف يطعن من قريب، فكأنه يسبُّه بالضعف، لأن الفتح العظيم يكون بالسيوف الخفيفة القاطعة.

يقوم السيف بإخبار الروم بما جهلوا عن سيف الدولة، فيقول الشاعر عن ذلك^(٢):
وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ فَهَنْ السِّنَّةُ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ
نَوَاطِقُ مُخْبِرَاتٍ فِي جَمَاجِمِهِمْ عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا

جعل سيف الدولة سيوفه تكذب الروم فيما إدعوه من الصبر على القتال، وذلك بقطع رؤوسهم إذا وقعت على جماجمهم، وأخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب، وبما جهلوا منه، لأنهم لم يعرفوا ما يملكه من اليأس تمام المعرفة، فالسيف قام بتوصيل كل هذه الرسائل إلى الروم.

ويصف الشاعر السيوف وما فعلته بالعدو قائلاً^(٣):
وَأَصْبَحَتْ بِفُرَى هِنْرِيطَ جَانِلَةً تَرَعَى الظُّبَى فِي خَصِيْبٍ نَبْتُهُ اللَّمَمُ

(٢) المرجع السابق ٢٤٧

(٢) المرجع السابق ٢٦٩

(٣) ديوان المتنبي ٢٧٠

فَمَا تَرَكَنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ
وَلَا هِزْبًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَشَمٌ

جالت خيل سيف الدولة في قرى هنزيط ببلاد الروم، وغارت عليهم، وقامت سيوفه في هذا المكان الخصب تقطع الرؤوس، فكان أهل الروم فريقين، فريقاً دخلوا المطامير والأسراب كالفأر وفريقاً صعدوا الجبال واحتموا بها، فلم تترك هذه السيوف أي رومي دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد، ولم تترك أي رومي تعلق برأس الجبل فصار كالبازي ولا البطل منهم، ولا المرأة الحسنة، فكل هؤلاء قتلتهم السيوف.

ويقول أيضاً في وصف السيوف^(١) :

وَفِي أَكْفِهِمُ النَّارَ الَّتِي عُبِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ
هِنْدِيَّةٌ إِنْ تَصَغَّرَ قَوْمًا صَغُرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعْظَمَ قَوْمًا عَظُمُوا
قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَبْطَالُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحُرْمُ

حمل جيش سيف الدولة السيوف، وهي كالنار التي كان المجوس يعبدونها، متألفة قبل زمان المجوس إلى زماننا هذا، وهذه السيوف مصنوعة بالهند، فهي تصغر المقتول وتعظم القاتل ويدرك بها العز والشرف. وقد قسم سيف الدولة الروم في ذلك البلد الذي أغاروا عليه، فأعطى الأبطال للسيوف، وأخذ لنفسه النساء والأطفال، وذلك يدل على أهمية السيوف في المعركة؛ لأنه وكل له الأبطال من الأعداء.

وبعد أن تحدثنا عن وصف السيوف، تنتقل لوصف المتنبّي للرماح ودورها في هذه الحروب، ويقول الشاعر في وصف الرماح^(٢) :

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجَ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدْرَيْنِ

(١) المرجع السابق ٢٧١

(٢) ديوان المتنبّي ص ٢٢١

هَوَادٍ لِأَمْلاِكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَتَّقِي
تَفُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنِ وَتَقْرِي إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخُنْدَقٍ

إن سيف الدولة لديه رماح تقتل كل من تقصده، وهي تخرق دروع الأبطال بسهولة كأنها تخرق نسج العنكبوت، وهذه الرماح تهتدي إلى أماكن الملوك فتقتلهم، فكأنها تختار الأبطال دون غيرهم، فتأبى إلا خيار العدو وسادتهم، ولا تحصنهم منها أسوار ولا دروع ولا خنادق، فإنها تخرق كل هذه الأشياء وتصل إلى الروم وتقتلهم.

ويصف الشاعر رماح العدو قائلاً^(١):

وَقِسِي رُمِيَّتَ بِهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرُّمَاءِ عَنكَ النَّصَالَا

عندما هرب الروم من سيف الدولة وتركوا أسلحتهم فأخذ المسلمون الرماح وقاتلوا الروم ورموهم بها، فكان ذلك وبالاً عليهم، فردت هذه الرماح في قلوب الذين رموها من الروم.

(١) ديوان المتنبي ص ٢٦٣ .

الفصل الثاني

أثر المعركة

نتناول في هذا الفصل وصف المتبني لنتائج معارك سيف الدولة مع الروم، وهي تتمثل في إظهار القوي من الضعيف، وسيطرة الخوف على المهزوم (يدخل تحتها فرار القائد)، وكثرة الخسائر في الأرواح، وسبي النساء، ومظاهر الخراب الذي أصاب ديار العدو، ومكان المعركة، وبطل المعركة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: إظهار القوي من الضعيف :

من أهم نتائج المعركة أنها تظهر القوى الشجاع من الضعيف الجبان. كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث، وقد نازله الدمستق هناك، ودارت بينهما معركة، فقتل سيف الدولة ثلاثة آلاف من رجال الدمستق، وأسر منهم خلقا كثير، وبنا الحدث، فقال المتبني في هذه الواقعة قصيدته المشهورة التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وفي هذه القصيدة ذكر المتبني أن الحرب تظهر القوي الشجاع من الضعيف الجبان

فقال:

فَللَّهِ وَقْتُ ذُوبِ الغِشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)

(١) ديوان المتبني ، ص ٢٤٦

ما كان مموها ومغشوشا هلك وتلاشى لرداءته كأنه ذاب بنار الحرب ، فلم يبق من
السيوف إلا السيف القاطع ولم يبق من الرجال إلا الشجاع الجريء ، إن نار الحرب في ذلك
اليوم اختبرت الناس وأسلحتهم، فأفنت ما كان رديئا ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع،
وهذه نتيجة طبيعة لكل معركة .

ثانيا: سيطرة الخوف على المهزوم:

ويصف لنا الشاعر هروب قائد الروم من المعركة ، فيقول في ذلك:

سَراياكَ تَنزِي وَالدمُستَقُ هَارِبٌ وَأَصحابُهُ قَتَلَى وَأموالُهُ نَهَبَا

أتى مَرَعشًا يَسْتَقْرِبُ البُعدَ مُقبِلًا وَأَدبَرَ إِذْ أَقبلتَ يَسْتَبَعِدُ القُربَا (٢)

جاءت جيوش سيف الدولة متتابعة ، بينما هرب الدمستق قائد الروم من المعركة وقتل
أصحابه، ونهبت أمواله ، والدمستق أتى هذا الثغر نشيطا مبهتجا، فلما أقبلت جيوش سيف
الدولة عليه ولى مدبراً، وهو يرى القريب بعيدا خوفاً وذعراً أن يدركه سيف الدولة والدمستق ولى
هارياً بعد أن رأى أصحابه قتلوا، وعرف قوة وبسالة سيف الدولة ورجاله؛ لذلك هرب ونجي
بنفسه ويقول أيضاً :

ولكنَّهُ ولى وللطَّعِنِ سَوْرَةٌ إِذا ذَكَرَتْها نَفْسُهُ لَمِسَ الجَنبَا

وخلَّى العَدَارَى والبَطارِيقَ والقُرَى وشَعَثُ النصارَى والقَرابِينِضَ والصُّلْبَا (١).

(٢) ديوان المتنبى ، ص ٢١٠

(١) ديوان المتنبى ، ص ٢١٠

انهزم الدمستق وللطعن في أصحابه حدة إذا تذكرها لمس جنبه قائلاً : هل أصابني شيء منه ؟ أي أنه انهزم مدهوشاً مرعوباً لا يدري ما حاله؟ وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشراح: إنه هرب وبقي من دهشته لا يدري ما يصنع، فكان يلمس جنبه باحثاً عن روحه بين جنبيه من الدهول والفرع ؛ فقد انهزم وترك العذارى وقواد الروم ، ولم يلتفت إلي هؤلاء لهول ما رأى .

يستمر الشاعر في وصف هروب قائد الروم فيقول :

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَوُولُ

نَجْوَتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ (٢)

يخاطب الشاعر الدمستق بعد هروبه قائلاً: لعلك يا دمستق تعود إلينا يوماً فيلحق بك الهلاك الذي أنت صائر إليه مهما حاولت الهرب منه، فهذا تهديد له : أي أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، وذلك أن سيف الدولة جرح وجه الدمستق في هذه المعركة ، فنجأ بنفسه وترك ابنه في يد الهلاك . فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يُعد هالكاً بهلاك مهجته الأخرى (ابنه) ؛ فقد جعل الشاعر ابنه بمثابة مهجته الثانية لمكانته الرفيعة عنده ، وهذا يؤلم القائد .

ويقول أيضاً:

أَنْسَلِمُ لِلخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِباً وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ

بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَّةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ (١)

(٢) ديوان المتنبي ، ص ٢٢٩

يعير الشاعر الدمستق بفراره مخلفاً وراءه فلذة كبده مما أورثه عاراً، وسببت تباعد بينه وبين الناس فلا يطمئن لصحبته أحد. قد جعل الشاعر الضربة التي أصابت قائد الروم جعلها تنسيه ابنه من شدتها.

ويستمر الشاعر في وصف ذلك الهروب . فيقول :-

وَيَفْهَضُ صَوْتَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ عَلَى أَنْ أَصَوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ
يُسِّرُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَن جَهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمٌ (٢)

إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه، فهم أنها تقتلهم فجاء في الهرب فرحاً بنجاته وحده، غير أنه بما خلفه وراءه من جنده وعتاده وممتلكاته، وذلك مما يشين الدمستق . وليس سروره جهلاً بحالته؛ ولكنه حين نجا برأسه غانماً (وان كان مغنوماً) لم يأبه لنجاة جنده، وهذا يدل على جبنه وخوفه.

وهرب ابن شمشق أحد قواد الروم واختبأ بين الأشجار فقال المتنبي في ذلك:

فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّحْمُ . (١)

يدعو المتنبي لذلك الشجر الذي اختبأ وراءه القائد الهارب بالأل يسقيه الغيث، ويقول لولا ذلك

الشجر الذي أخفاه لقتل وتوارت جثته بين أسراب طير الرخم.

وفي موضع آخر يصف المتنبي هروب قائد الروم بقوله :

(١) ديوان المتنبي ص ٢٢٩

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٤٧

(١) ديوان المتنبي ص ٢٧٢

أَجَلٌ مِنْ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعٌ (٢)

وصف الشاعر سرعة هروب الدمستق بأنها فاقت سرعة الخيل - علي سبيل المبالغة- والذي يقرأ هذا البيت يعرف أن الدمستق هرب بكل ما لديه من قوة، وهذا كله خوفاً من سيف الدولة ورجاله ، ويقلل الشاعر من شأن الدمستق ويقول :إن الأسير أفضل منه، وكذلك أفضل منه المقتول الذي صمد وقاتل حتى قتل .

يصف الشاعر صورة لخوف العدو والفرع الذي لحق بالدمستق من جراء القتال مع سيف الدولة فيقول:

وما نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْفَلِتٌ نجا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ فَرَعٌ

يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبِلٌ وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُمْتَفِعٌ (٣)

الأبيات السابقة تصف نوعاً من أنواع الخوف الذي حل بنفوس الذين نجوا من الموت من جيش العدو، وهو خوف يلازمهم حتى إذا أمنوا أو شربوا الخمر لتناسبه. ويصف المتنبي خوف الروم قائلاً:

فإن كان خَوْفُ الْقَتِّ وَوَلَدِ الْأَسْرِ سَاقَهُمْ فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلٌ

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاؤُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ (١)

(١) ديوان المتنبي ص ٢٠١

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٣٩

إن كان الذي ساق الروم إلى سيف الدولة هو خوفهم القتل والأسر من جهته، فقد فعلوا بأنفسهم ما لا يفعل القتل أكثر منه ، فهم خافوه خوفاً أشد وقعاً من القتل، وجاءوا إليه طائعين حتى لا يحتاج في أسرهم إلى سلاسل.

وفي موضع آخر يصف المتنبى الخوف الذي أصاب الروم فقال:

ما مضوا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ (٢)

لم يهزم الروم عن سيف الدولة غير مقاتلين؛ ولكن القتال الذي قاتلهم قبل هذا كفاه القتال الآن ، يعني أنهم قد بلوه قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب فخافوه الآن، فانهزموا ومضوا ، وهزيمة الروم دون قتال تدل علي معرفة الروم بسيف الدولة معرفة تامة يترتب عليها تجنب القتال لمعرفتهم بما سيحدث لهم إذا قاتلوه .

ويصّل الشاعر أوصاف حال الروم وخوفهم فيقول :

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكاً قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ حَيَالاً

وَإِذَا حَاوَلْتَ طِعَانَكَ حَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَنْزِعَ الْقَنَا أَمْيَالاً (٣)

إن الروم لشدة خوفهم من سيف الدولة وتصورهم ما صنع بهم قديماً، رأوا الطعن متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ، ويخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : إذا

(٢) المرجع السابق، ٢٦٣

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها

أرادت جيوش الأعداء طعانك خيّل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل؛
فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا علي أميال.

ويتحدث عن الخوف قائلاً :-

بَسَطَ الرَّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِيناً فَتَوَلَّوْا فِي الشَّمَالِ شِمَالاً
يَنْفُضُ الرَّوْعَ أَيْدِيّاً لَيْسَ تَدْرِي أَسْيُوفاً حَمَلْنَ أَمْ أَغْلَالاً (١)

إن الرعب شاع فيهم وعم في ميمنة جيشهم وشماله فتولوا هاربين . فينفض من أيديهم
السلاح فيسقط ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال يملكها سيف الدولة وموانع يمنعهم من
التصرف بها.

ويقول في موضع آخر :

وَمَنْ لُفْرَسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِنَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ
كَتَائِبُ جَاؤُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا (٢)

كان الروم قد وسطوا فرسان الثغور - وهم فرسان طرسوس وأنه والمصيصة - لدى سيف
الدولة في طلب الهدنة، وأن يؤخر الحرب عنهم أياماً ، وذلك ما لا يكادون يقدرّون على طلبه
بأنفسهم ، فبلغهم ما لم يكونوا يتوقعونه ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنّة
، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليبلغوه بأنفسهم . فقد وصل الروم درجة من الخوف

(١) ديوان المتنبّي ص ٢٦٣

(٢) ديوان المتنبّي . ص ٢٤٩-٢٥٠

لا يستطيعون معها مواجهة سيف الدولة في السلم لطلب الهدنة ، بل حتى الفرسان الذين
وسّطهم الروم جاءوا إلي سيف الدولة في خضوع لأنهم على علم بسيف الدولة ورجاله.

ويقول المتنبّي في مهابة الروم لسيف الدولة :

والتَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَلَّمَ التَّابِتِينَ ذَا الإِجْفَالَا (٣)

إن الأوائل من الروم الذين أجادوا الثبات في الحرب مع سيف الدولة لم يغن عنهم ثباتهم
،وأدى إلى هلاكهم؛ وذلك الثبات علم هؤلاء أن يفروا منه؛ خشية أن يحل بهم ما حل بالذين
سبقوهم، يريد بهذه الأبيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل حرب ،ولكنهم لا يقاومون سيف
الدولة . وهذا أقوى في مدح سيف الدولة.

ويقول في موضع آخر:

تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الهَامِ وَتُدْرِي عَلَّيْهِمُ الأَوْصَالَا

تُنْذِرُ الجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا فَتُرِيهِ لِكُلِّ عَضْوٍ مِثْلَا (١)

لم يبعد عهد ذلك المكان بالقتل، فشعر القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك، تحملها الريح
وتلقيها عليهم فيفرعهم ذلك وينفرهم من ذلك المكان. وقد أشار بذلك إلي وقعة سيف الدولة مع
الروم عند بنائه الحدث، ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة، فلما اشرفوا علي موقع تلك الوقعة

(٣) ديوان المتنبّي ص ٢٦٣

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها

وذكروا عظم تلك البلية فأشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

ويصف الشاعر هروب الروم من سيف الدولة ومن المعركة فيقول:

وَاسْتَجَرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى تَرَكُوهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبِالَا (١)

قد جرّ الروم آلات الحرب إلى القلعة، ثم انهزموا عنها فهربوا وتركوا هذه الآلات ، فكانت

وبالاء عليهم ، لان أهل قلعة الحدث تعقبوهم وأخذوا معهم ما تركوه من سلاح وحاربوهم به .

لم يرض الدمستق بالهزيمة فقال الشاعر في ذلك:

رَضِ بِنَا وَالْدُمُسْتُقُ غَيْرِ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الْقَوَاصِبُ وَالْوَشِيحُ (٢)

لقد رضي سيف الدولة وجيشه بما حكمت به السيوف القواطع ، لأنها حكمت له بالفوز

والظفر وحكمت على الدمستق وجنوده بالهزيمة والفضل فلذلك لم يرض .

يعتبر الشاعر أن هزيمة الروم إنما هي هزيمة للشرك عامة، فعبر عن ذلك بقوله:

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ (٣)

ليست تعتبر هزيمة سيف الدولة للدمستق هزيمة ملك لملك مثله، وإنما هي هزيمة التوحيد

للشرك إذ يدافع سيف الدولة عن حمى الإسلام، بينما يقود الدمستق أهل الشرك ملته .

ويصور لنا الشاعر جيش الروم حال انهزامهم فيقول:

فَكَانَ أَنْبَتُ مَا فِيهِمْ جُسُومَهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَرُ (٤)

(١) ديوان المتنبّي . ص ٢٦٣

(٢) ديوان المتنبّي ص ١٩٩

(٣) ديوان المتنبّي ، ص ٢٤٨

ثبتت أجسام العدو أمام سيف الدولة، لأنه لم يترك لهم سبيلاً إلي غيره، فسقطت حوله
الأجسام وانهزمت أرواحهم .

وعاد جيش الروم بالخيبة والحرمان من الانتصار على سيف الدولة. فيقول الشاعر في
ذلك:

حُرْمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَجْرَكَ مِنْهُمْ آمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحَرِمَانِ (١)

قد حُرِمَ الروم ما أَمَلُوا من الظفر من سيف الدولة، فصار من عاد منهم إلي بيته بالحرمان
يعد نفسه مدركاً أمله ، لأنه نجا بنفسه. (وعاد) تروي (عاد) بالذال المعجمة من عذت بالشيء
: امتنعت به. وعلي هذه الرواية يكون المعني : أدرك أمله منهم من لجأ إلي القبول بالحرمان
فترك الحرب وسلم بنفسه .

ثالثاً : الخسائر في الأرواح:

من نتائج المعركة الخسائر في الأرواح، وفيها يصور الشاعر قتلى الروم فيقول:

مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعى كَأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ (٢)

إن هذه البلاد تلطخت بدماء الروم كأنها مساجد مخلقة، أي مطلية بالخلوق - وهو ضرب
من الطيب - وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجّد على الأرض وان لم يسجدوا حقيقة.

قتل سيف الدولة الروم قتلاً شنيعاً فلم يترك إلا النساء ، يقول الشاعر في ذلك:

(٤) ديوان المتنبّي ص ٢٧١

(١) ديوان المتنبّي ص ٢٦٧

(٢) ديوان المتنبّي ص ٢٠٥

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمْ يَشَفَّتْهَا وَالثُّدِيَّ النَّوَاهِدُ^(٣)

إن سيف الدولة أعصف بالروم وأتى عليهم فقتل جميع الرجال ولم يترك إلا النساء ، وذكر سبب تركه للنساء وهو لم يشفتها وصدورها الناهد وهو المعني النسوي.

يذكر الشاعر كثرة قتلى الروم فيقول ذلك :

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ^(١)

إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع علي لحوم الأحياء منهم.

ويقول :

وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَقٍ^(٢)

يذكر الشاعر كثرة قتلى الروم في أرضهم، وأن رسول ملكهم سار إلي سيف الدولة عند قصده إياه، فما سار إلا فوق رؤوس القتلى، فقد عبر الشاعر عن كثرة القتلى من الروم بأن الأرض مليئة بقتلاهم فلم يكن بها مكان إلا وفيه قتيل من الروم .

ويستمر الشاعر في وصف قتلى الروم ويذكر تعميم قتلهم فيقول :

وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمَ مِنْهُمْ أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتَقٍ

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا وَمَرُّوا عَلَيْهَا رَزْدَقًا بَعْدَ رَزْدَقٍ^(٣)

^(٣) ديوان المتنبي ص ٢٠٦

^(١) ديوان المتنبي ، ص ٢٠١

^(٢) ديوان المتنبي ص ٢٢٢

إن سيف الدولة عممهم بالقتل فلم يترك أسيراً يُفدى أو عبداً يُتق، وأنهم وردوا سفرات
السيوف - حد السيوف - كما ترد القطا مناهل الماء ودمروا صفا بعد صف حتى أفناهم ،
حتى أنه لم يترك منهم أحد حتى يُؤسر ولا عبداً حتى يُعتق، وقد شبه ورودهم على حد السيوف
بالقطا عندما ترد؛ لأنها عندما ترد الماء تكون سريعة متلهفة.

وعن كثرة القتلى يقول الشاعر:

يُفدِّي أتمَّ الطَّيرِ عُمرًا سِلاحَه نُسُورُ الفِلا أَحدائِها والقِشاعِمُ (١)

يفدي سيف الدولة عمر النسور صغارها وكبارها وتقول لأسلحته فديناك بأنفسنا، لأنها كفتها
حاجتها في طلب الأفيوات لكثرة قتلي الروم في وقائعه. فقد عبر الشاعر عن كثرة قتلي الروم
بأنهم أصبحوا طعام للطيور واكتفت هذه الطيور من قتلي الروم وذلك لكثرتهم.

جعل الشاعر اضطراب الفتنة في الحدث جنونا لها حيث يقول:

وكانَ بِها مِثْلُ الجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُبْثِ القَتْلِ عَلَيَّها تَمائِمُ . (٢)

إن الروم أتوا الحدث يقصدونها ويحاربون أهلها، فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل
سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها، سكنت الفتنة وسلم أهلها، فجعل جثث القتلى
كالتمايم عليها ، حيث أذهبت ما بها من الجنون .

قتل سيف الدولة الروم علي جبل الحدث، يصف الشاعر هذه الصورة. فيقول:

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(١) ديوان المتنبى ص ٢٤٥

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأُحْيَبِ كُلِّهِ كما نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الدُّرَى وقد كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ (٣)

نثر سيف الدولة جثث الروم فوق جبل الحدث، كما تنثر الدراهم علي العروس، يعني: تفرقت

مصارعهم علي هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت فوق العروس. قال العكبري (١):

"وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلي أن سيف الدولة تحكّم في الروم قتلاً وأسراً

ونثر جثثهم فوق هذا الجبل نثراً " ويواصل الشاعر خطابه لسيف الدولة قائلاً : وانك تتبعهم

بخيلك في رؤوس الجبال حيث وكور الطير فتقتلهم هناك حتى تكثر مطاعم الطيور حول

وكورها ، وعبارة بعض الشراح: تدوس بك الخيل في آثار الروم، وقد كثرت الجثث من القتلى

حول الوكور بكثرة من قتله هنالك فرسانك من الروم ، ودل ذلك على كثرة القتلى حول وكور

الطير، وما تبقى من الروم أسرعوا في الهرب ، وأنهم قتلوهم في رؤوس الجبال ، لفضة

"نثرتهم" تعطي معني الكثرة لان النثر يكون كثيرا ويعطي التقارب الزمني للمنثور، وهذا يعني

أن سيف الدولة يقتل الروم بأعداد كبيرة في زمن بسيط وهذه من روائع الشاعر .

ويصف الشاعر مقتل الروم وكثرة دماءهم فيقول:

هَيْهَاتَ عَاقَ عَنِ الْعَوَادِ قَوَاضِبُ كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَانِي

قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِقَّةَ الْغُرَبَانِ

(٢) ديوان المتنبّي ص ٢٤٧

(١) ديوان المتنبّي بشرح العكبري ص ٣٨٩

وجزى على الورق النجيع القاني

فكأنه النارج في الأغصان (٢)

بعدما أمل الروم في العودة إلى القتال، فقد عاقهم عن ذلك السيوف التي كثرت بها قتلاهم،
وقل من يؤسر أو يجرح ولا يموت ، وقد كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم علي أشجار
الجبال حتى اسودت بها فكأنها الغريان السود، ولما جرت دماؤهم علي ورق الشجر احمر ،
فصار لحمته كأنه النارج في الأغصان .

جعل الشاعر السيوف تمنع الروم من العودة إلي المعركة وذلك بقتلها لهم، وقد استخدم
الشاعر التشبيه لتوصيل الصورة فقد شبه شعورهم على الشجر بالغريان وشبه دماؤهم الجارية
بالنارج. فقد وفق الشاعر لرسم صورة تحكي ما حدث.

رابعاً: سبي النساء

يعتبر سبي النساء إحدى الخسائر التي تعرّض لها الروم جراء هذه الحروب، فالمتنبي يصور
لنا ذلك السبي فيقول :

نُبُكِّيَ عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقِيَاتٌ كَوَاسِدُ (١)

إن سيف الدولة أسر بنات قواد الروم ، وهن لديه مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن .

ويقول أيضا :

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعو (٢)

(١) ديوان المتنبي . ص ٢٦٨

(٢) ديوان المتنبي ، ص ٢٠٦

(٣) المرجع السابق ، ص

نزل سيف الدولة بضواحي خرشنة بالروم، فنكل بالروم فسبى نساءهم، وقتل أولادهم، ونهب أموالهم، وأحرق زرعهم. ويقول الشاعر أيضا :

وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعِرْقَةٍ كَأَنَّ جُيُوبَ النَّكَالَتِ دُيُولُ (١)

وأصبح الجواري اللاتي سبين من الروم يبكين بعرقه - بلد بالشام - وقد شققن جيوبهن على مَنْ فَقَدْنَ مِنْ قَتْلَاهُنَّ حَتَّى تَدَلَّتْ هَذِهِ الْجُيُوبُ إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ ذِيُولَ.

وعن كثرة ما سبى سيف الدولة من النساء، وكثرة ما غنم من الروم ، يقول الشاعر :

فَقَتَلَ الْحِبَالَ مِنَ الْعَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينِ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ

تَأْتِي بِمَا سَبَتْ الْخَيُْولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَايِضُ الْغَزْلَانِ (٢)

اتخذ سيف الدولة حبال سفنه من ذوائب سباياهم من نساءهم ، واتخذ خشبها من الصليبان التي استولي عليها من معابدهم وذلك لكثرة ما غنم وسبى ، والذوائب الكثيرة دليل علي كثرة ما سبى من النساء، وأيضا صناعة سيف الدولة لسفنه من الخشب الذي استولي عليها من الروم دليل علي كثرة ما غنم منهم ، إذن سيف الدولة سبى وغنم من الروم الكثير جداً **خامساً : خراب ودمار :**

ومن الخسائر التي تعرض لها الروم الخراب والدمار الذي لحق بديارهم ، وبمواطن المعركة، فوصف الشاعر ذلك الدمار والخراب في كثير من قصائده.من ذلك قوله :-

(١) ديوان المتنبى ، ص ٢٢٧

(٢) ديوان المتنبى ص ٢٦٦

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرِيَاضِ خَرْشَنَةَ تَشَقَّى بِهَا الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ (١)

ما زال سيف الدولة يسرع بجيوشه حتى نزل بضواحي خرشنة ،وقد شقيت به الروم ، لأنه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم ويقول :

عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سَكَّانُهُ رَمَمٌ مَسْكُونُهَا حَمَمٌ (٢)

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً له : عبرت النهر متقدماً رجالك، وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله، فصاروا عظاماً بالية وأحرقت أهله فصاروا رماد وفحم، وذلك البلد هو (تل بطريق)

(١) ديوان المتنبّي ص ٢٠٠

(٢) ديوان المتنبّي ص ٢٧٠

سادساً: بطل المعركة :

بطل المعركة هو إحدى نتائج المعركة ، لأن نتيجة المعركة هي التي تحدد لنا القائد البطل ، لذلك رأيت أن أذكر صفات بطل المعركة باعتبارها إحدى نتائج المعركة ، وكان بطل المعركة في أغلبية هذه المعارك هو سيف الدولة. لذلك ، تعرضت لصفاته التي ذكرها الشاعر . وتتمثل هذه الصفات في: الشجاعة، والقوة وقتله للأعداء ، والكرم ، ومنزلته بين الملوك ، ومجارة الملوك له، وقوة عزيمته ، وتدبيره للأمور ، وتخويفه للعدو .

يصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والقوة فيقول :-

وما الفرقُ ما بينَ الأنامِ وبينَهُ إذا حذَرَ المَحذُورَ واستصعَبَ الصَّعبَا
لأمرٍ أعدتُهُ الخِلافةُ للعِدَى وَسَمَّئُهُ دُونَ العَالِمِ الصَّارِمِ العَضْبَا (١)

لا فرق بين سيف الدولة وبين غيره، وأي ميزة يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه؟ إنما ينفصل عن الغير ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئا ، ولا يستصعب عليه أمر مهما كان ، وأن الخلافة لم تعدته لأعدائها، وتسميه سيف الدولة دون غيره؛ إلا لأمر عظيم ، وذلك لأنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغا لم يبلغه أحد .

يستمر الشاعر في وصف سيف الدولة بالبطولة فيقول:

فلا زَالَتْ عُدَاتُكَ حيثُ كَانَتْ فَرَأَيْتَ أَيُّهَا الأَسَدُ المَهْيِجُ
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّاتٌ وَأَنْتَ بَعِيرِ سَيْفِكَ لا تَعِيجُ (٢)

(١) ديوان المتنبّي ص ٢١٠

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك حيثما كانت ، وقد وصفه الشاعر وكان خارجاً من صفوف جيشه وهو يدير رمحه فقال في ذلك المشهد : عرفتك والصفوف معبأة من حولك. وأنت لا تبالي إلا بسيفك ، يشير إلى أنه لا يهتم بجنده ويتعبئته ، وأنه شجاع لا يعبأ إلا بسيفه ويقول :-

وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمْوُجُ

بَارِضٍ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا إِذَا مُلَّتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ (١)

إن العدو عرف سيف الدولة بالشجاعة والقوة ، وهذا في غير الحرب، فكيف يكون حاله في الحرب؟ فهو يهلك كل من يقف أمامه مهما كان العدد.

ويقول أيضاً:

وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلْتُهُ صَدُوقٌ إِذَا لَاقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ (٢)

فسيف الدولة إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، وما جبن عن اللقاء، وإذا أغار عليهم دامت غارته عليهم زمناً فلا يقف حتى يعصف بهم. فقد وصفه هنا بالشجاعة عند اللقاء. وبالصدق في حملته علي الأعداء . ويقول أيضاً :-

فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ (٣)

(٢) ديوان المتنبّي ص ١٩٩

(١) ديوان المتنبّي ، ص ١٩٩

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(٣) ديوان المتنبّي ص ٢٠٥

إن الملوك كثيرون ولكن اليوم لا ملك إلا سيف الدولة. وهذا يدل على قوته وشجاعته.

ويصف المتنبي سيف الدولة بصفات القائد البطل فيقول :-

وَأَنَّ دَمًا أَجْرِيَتْهُ بِكَ فَاخِرٌ وَأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدٌ

وَكُلُّ يَزَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدٌ (١)

ومن شرف الإقدام أن الدم الذي يسفكه سيف الدولة يفخر بأنه ستفك بيده ، وأن القلب الذي يخيفه يحمده بشجاعته ، وكل شخص يعرف طرق الشجاعة والكرم ؛ لأنه لا خفاء بهما ، ولكن لا يسلك طريقهما إلا من قادته نفسه إليهما وكان مطبوعاً عليهما .

يصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والبطولة فيقول ::

فَأَنْتَ حُسَامٌ الْمَلِكِ وَاللَّهِ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِيَوَاءِ الدِّينِ وَاللَّهِ عَاقِدٌ

وَأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بَنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ تَشَابَهُ مَوْلُودٍ كَرِيمٍ وَوَالِدٍ (٢)

سيف الدولة بالنسبة للحكم بمنزلة السيف للحكم ، ولكن الضارب به هو الله ، وأنه للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها. فقد أشبه سيف الدولة أباه وأبو الهيجاء (كنية والد سيف الدولة) ، يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو ؛ وذلك قوله "تشابه مولود ووالد "

وفي موضع آخر يقول :

وْفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَهَا فِي الدَّرْبِ وَالِدَمُّ فِي أَعْطَافِهِ دُفَعُ

(١) ديوان المتنبي ص ٢٠٦

(٢) المرجع نفيه والصفحة نفيها

وَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدَعٌ (٣)

إن سيف الدولة عندما أرادت خيله الهزيمة، ثبتها في مدخل بلاد الروم وهي كانت قد أسرعت إلي الهزيمة فرعاً ، وكان الدم ينصب على جوانبها دفعةً بعد دفعة ، وهي قد تركته وحيداً فلم يقلق، وعندما أغضبتة لم يكن في لفظه فحش، يريد إذا اجتمعت الخيل الموصوفة بالفروسية كان أفرسهم، فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته ، وأغضبتة بانحيازها عنه فلم يكن في لفظه فحش ، أي انه شجاع وان كان وحده وحليم عند الغضب ، وإن سيف الدولة لا ينهزم بانهزام من حوله، بل يقاتل حتى لو أصبح وحيداً وهذه من صفات القائد الناجح. ويتحدث عن عز سيف الدولة قائلاً:

بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلَّهُمْ وَالْجَيْشُ بَابِنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ (١)

إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم؛ لأنهم بهم يقوون ويمتنعون علي أعدائهم ، ولكن عز جيش سيف الدولة به ؛ لأنهم لا يمتنعون علي عدوهم إذا لم يكن فيهم ، فهو عزهم وبه منعتهم .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة ولكن بعد التجربة. فيقول في ذلك:

وَمَا حَمْدُنْكَ فِي هَوْلٍ ثَبَّتَ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُنْكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَنِعُ

إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ (٢)

(٣) ديوان المتنبي ، ص ٢٠٠

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠٣

وصف المتنبي سيف الدولة بالقوة و الشجاعة؛ وذلك بعد أن جربه في الحرب وشاهد قتاله وهروب الأعداء منه، وليس كل من يحمل السلاح شجاعاً ، كما انه ليس كل ذي مخلب يفترس ، يعني ذلك أن سيف الدولة شجاعاً حقاً ، لأنه إذا لم يكن ذلك الوصف عن طريق التجربة لكان ذلك باطلاً، ويكون غرضه التكسب والمصلحة المادية .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالشجاعة في الحرب وبالبلادة في الكلام فيقول :

فلا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يُذَكَّرُ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ

ضَرْوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بِنَائِهِ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الكَلَامِ المُشَقِّقِ (١)

يصف المتنبي سيف الدولة بالشجاعة وأنه صاحب كلام بليغ قادر على الافتتان في القول .

ويصف الشاعر سيف الدولة بالصبر فيقول :

وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُوقُ (٢)

قد أدرك كل نفس من نفوس جيش سيف الدولة الملل؛ لطول القتال وشدة ما لاقوا ما عدا سيف الدولة، فإنه لا يفتر ولا يمل وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد أتعبه الضرب ، أما هو فلم تكل عزائمه عن متابعة القتال ، فقد وصفه الشاعر بالصبر، وهذه من أهم الصفات التي تتوفر في القائد البطل لأنه بالصبر يصل إلي ما يريد .

يستمر الشاعر في وصف سيف الدولة فيصفه بالشجاعة والقوة فيقول :

(١) ديوان المتنبي ص ٢٢١

(٢) ديوان المتنبي ، ص ٢٢٨

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحَدَّهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ

وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ

يشير الشاعر إلي أن سيف شجاع تقدم الخيل وحده حتى رأوه قبل أن يروا جيشه، ولما رأوه كذلك علموا انه يغني غناء الناس جميعاً وأن ما سواه من العالمين فضول مع وجوده ، و علموا أن الرماح لا تصل إليه. وان السيوف تكل عنه فلا تقطعه ، إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يليق به علي الطاعن والضارب من الهيبة فلا يقدم عليه .

ويقول أيضاً

و إِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَلَّ الْأَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ

إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءَ رَأَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْخَالِحُ (١)

بطش سيف الدولة بالروم بطشاً شديداً، حتى أن الأيام لم تشهد مثل هذا البطش .وسيف الدولة علم الناس الشجاعة والبأس والإقدام.

وإذا اختبرت العرب الخالصة القديمة نفوسهم عند الجود والشجاعة ، علموا أن سيف الدولة هو فتاهم وسيدهم لأنه أجودهم وأشجعهم . بعد أن ذكر الشاعر أن سيف الدولة علم الأيام البأس والشجاعة فذهب في هذا البيت مذهبا آخر في وصفه بالشجاعة وهو انه أشجع العرب بل العرب الخالصة القديمة ، ويقول أيضا :

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغِمُ (٢)

(١) ديوان المتنبى ص ٢٢٩

إن سيف الدولة اتصف بالشجاعة التي لم يصلها أي أحد من الملوك آنذاك ،حتى
الأسود لم تصل هذه الشجاعة. ويريد سيف الدولة أن يكون الناس مثله في الشجاعة والإقدام.
ويقول :

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِرَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكَ بِاسِمٍ^(١)

وقف سيف الدولة في ساحة القتال حيث لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة
المصارع فيه حتى كأنه في جفن الردى وهو نائم فلم يبصره وغفل عنه بالنوم فسلم ، وعندما
تمر أبطال العدو وهم جرحى ومهزومين ووجوههم عابسة، يكون وجهه وضاح وفمه باسم، فهذه
صورة للبطولة والشجاعة والقوة والسيادة .

ويقول أيضاً :

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ
ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٢)

يصف المتنبي سيف الدولة بأنه تناهى في شجاعته، ورجاحة عقله إلى حد جعل الناس
يظنون بأنه يعرف أعقاب الأمور قبل حلولها. وفي البيت الثاني يصف حملته على العدو بأنه
يطبق عليه من كل جانب ويدمره.

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٥

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٤٦

(٣) ديوان المتنبي ص ٣٠٦

ويصف الشاعر مواصلة قتال سيف الدولة للروم وكثرة قتله لهم فيقول :-

أخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِيبُ سَيْوْفُهُ رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدٌ

نَهَبْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهَيْئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدٌ^(٣)

سيف الدولة مقيم علي غزو الروم، لا تفارق سيوفه رقابهم، إلا إذا جمد نهر سيحان الموجود ببلاد الروم، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم ، وقد مدحه الشاعر في البيت الثاني مديح موجه؛ وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتله للأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلك لهم أعداد كبيرة، وفي المصراع الثاني قال :لو عاش سيف الدولة هذه الأعمار التي نهبها من الأعداء ؛لهيئت الدنيا ببقائه خالداً فيها. قال ابن جني^(١) : " لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد بنا له ما لا يخلقه الزمان ."

قد اتعب سيف الدولة أهل الحرب فيقول الشاعر في ذلك:

أَخَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَعَبْتَهَا فَالَهُ سَاعَةٌ لِيُعْمَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِرَامٌ

وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَيْئَةٍ فَإِنَّ الَّذِي يَعْْمُرُنَ عِنْدَكَ عَامٌ^(٢)

يصف الشاعر شجاعة سيف الدولة وقتاله للأعداء واستمرار حملته عليهم، وكل هذا دليل

على شجاعته وبسالته.

وبذكر الشاعر كثرة ما قتله سيف الدولة من الروم ويقول :

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٠٦

(١) الفسر لأبن جني ج ٢ ص ٨١٢

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٥٠

أَلْفَتُ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا
فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ
فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ (٣)

يصور الشاعر كثرة من قتلهم سيف الدولة من الروم ، وجعل دماء الأحياء منهم تطيعه بلا ضرب وذلك إلى ضرب من المبالغة حيث جعل دماء الروم تسيل بغير ضرب ولمجرد دعوة من سيف الدولة ، وأن قتله لهم هو الذي ينهي آجالهم في هذه الدنيا ولا يتركهم يموتون موتاً طبيعياً ولا يصلون إلى الهرم فأعمارهم قصيرة بسبب ذلك.

ويقول أيضاً:

تُهَابُ السُّيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نَزَارِيَّةً عُرْبًا (١)

إن السيوف تُهَاب وهي من الحديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ ! وسيف الدولة عربي نزاری فيكون أحق بالخوف منه .

إن سيف الدولة لايمل الحرب فيقول الشاعر في ذلك :

كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا
يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامِ (٢)

إن سيف الدولة لا يسأم ولا يتعب من قتال الأعداء؛ لأنه رجل حرب، أما الأبطال

الآخرون يتعبون إذا طال القتال أو كثرت عليهم المعارك..

(٣) ديوان المتنبي ص ٢٧٢

(١) ديوان المتنبي ، ص ٢٠٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩

وعن بأس سيف الدولة يقول الشاعر :

فَأُورِدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَنَى بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ^(٣)

يمدح الشاعر سيف الدولة بالشجاعة والجرأة على العدو، فهو يلقي عدوه مقبلاً لامدبراً

حاملاً عليه بسيفه، يعمله فيه قتلاً وتمزيقاً

ويعبر الشاعر عن شجاعة سيف الدولة بشيء آخر هو محاربة النجوم. فيقول ذلك

:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ حَوْلِدٌ وَلَوْ حَارِبَتْهُ نَاحَ فِيهَا التَّوَاكِلُ

قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَثَمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ^(١)

إن سيف الدولة شجاع ، حتى لو حاربت النجوم لقام بقتلها ، وأنه لا يعجزه شيء فما

كان بعيداً عند الآخرين فهو قريب سهل عند سيف الدولة.

لسيف الدولة هيبة ، وإذا رآه أحد لا يحاربه؛ من هيئته فيقول في ذلك .

أَيُّ عَيْنٍ تَأْمَلُنَاكَ فَلَا تَنْتَكِ وَطَرْفِ رَنَا إِلَيْكَ فَالَا^(٢)

إن العين التي تتأمل سيف الدولة لا يجترئ صاحبها علي ملاقاته؛ لما يرى من هيئته

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨

(١) ديوان المتنبي ، ٢٤٠

(٢) المرجع السابق ٢٦٤ ،

وينتقل الشاعر إلي وصف سيف الدولة بصفات أخرى ، مثل تدبيره للأمور فيقول في

ذلك :

تُدْبِرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتًا عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ (٣)

إن العرب تربط البطولة بصفات أخرى مثل الشجاعة والإقدام وغيرها من الصفات، وأن القائد البطل يجب أن يتصف بهذه الصفات، ومن هذه الصفات الكرم، فكان سيف الدولة كريماً، ففي البيت السابق يربط الشاعر بين بطولته وكرمه، وأنه ليس هناك ما يشغله عن الكرم، حتى حكمه لشرق الأرض وغربها لم يشغله عن الجود والكرم .

ويستمر الشاعر في وصف سيف الدولة بالكرم قائلاً :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خُنْمُوا (١)

متى رأيت سيف الدولة وظفرت به فلا تطلب بعده كريماً ، فلا كريم بعده لأنه خاتمة الكرام إذ هو أسخاهم .

ومن هذه الصفات الأدب، فيصف الشاعر سيف الدولة بالأدب قائلاً:

وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمُ النَّثَا مَاسِبٌ قَطُّ وَمَاسِبًا (٢)

وسيف الدولة لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوه حباً له، وإنما نفاهم عن الشام ، أذلاء صاغرين ، وإنه رجل كريم النشاء ما سبّه أحد لأنه لا يفعل ما يُسب عليه، ولا سبّ أحداً لأدبه وكرمه .

(٣) المرجع السابق ٢٤٠

(١) ديوان المتنبي ، ٢٧٢

(٢) المرجع السابق ، ٢١٠

ويصفه أيضاً بمكارم الأخلاق فيقول في ذلك :

ولو رآه حوارِيهم لَبَنُوا على مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الذي شَرَعُوا

لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه، لأوجبوا محبته وطاعته

فيما يشرعون للمسلمين من الشرع .

ويذكر الشاعر أن كل ملك يعود إلى سيف الدولة فيقول في ذلك :

أرى كُلَّ مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كأنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ (٣)

إن كل ملك يؤول إلى سيف الدولة مهما كان، فجعل الشاعر سيف الدولة بمثابة البحر وبقية الملوك بمثابة الجداول؛ لأن مياه الجداول تصب في البحر .

ومن الصفات المرتبطة بالبطل، أن يكون الشخص محبوباً عند قبيلته، ومفخرة لهم أمام القبائل

الأخرى، فهذه الصفة موجودة لدى سيف الدولة كما ذكر ذلك الشاعر. فقال:

فَتَيْهًا وَفَخْرًا تَغْلِبَ ابْنَةٌ وائِلٍ فَأَنْتِ لِحَيْرِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ (١)

يخاطب الشاعر قبيلة تغلب قبيلة سيف الدولة قائلاً : فتيهي وافخري فانك قبيلة خير

من فخر به ، جعل سيف الدولة مفخرة لقبيلته .

ومن صفات البطل أيضاً الرأي السديد ، ونصرة القبيلة، فيقول الشاعر في سيف الدولة:

هَنِيئًا لِأَهْلِ التَّعْرِ رَأَيْكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حِزْبَ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبًا (٢)

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٦

(١) ديوان المتنبي ، ص ٢٣٠

(٢) المرجع السابق ، ٢٠٩

يخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : هنيئاً حسن رأيك في أهل الثغر، وأنتك صرت لهم

عونا ونصيراً.

نخلص من هذا البحث إلى أن المتبني بيّن لنا نتائج معارك سيف الدولة مع الروم ، وقد وصف

النصر والهزيمة

الباب الثاني

الدراسة الفنية لقصائد المتنبي

في وصف معارك سيف الدولة مع الروم

الفصل الأول

بناء القصيدة

المبحث الأول : بناء القصيدة

نتناول في هذا المبحث مطالع قصائد المتنبي، حيث يصف معارك سيف الدولة مع الروم، من حيث الحُسن والقُبْح، ونقف على أسلوبه في التخلص إلى موضوع قصائده، ثم ننتقل إلى الحديث عن الخاتمة.

أ/ المطلع:

مطلع القصيدة هو أول ما تبدأ به القصيدة من شعر، ومن حق هذا المطلع أن يكون حسناً جميلاً. يقول أبو هلال العسكري^(١): "أحسنوا معاشر الكتاب الابتدئات فإنهن دلائل البيان". وحسن المطلع أو براعة الاستهلال وصف جميل يريد منه النقاد أن يكون بدء الكلام قوياً يسترعي الأسماع، بالغ الجودة والإتقان، بحيث يستهوي الألباب لمتابعة موضوعه، ويجتذب النفوس للإقبال عليه. ويقول ابن رشيق^(٢): "لأن حسن الافتتاح داعية الإشراف ومطية النجاح... والشعر قفلٌ، أوله مفتاح، فينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، وليجعله حلواً، سهلاً، وفخماً، جزلاً".

والشاعر الجيد هو الذي يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص والخاتمة، فيقول الجرجاني في ذلك^(٣): "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء". ولا بد أن تكون المطالع حسنة لطيفة؛ لأنها أول ما يُسمع من الشعر، يقول عبده زيادة^(٤): "قمن حق

(١) الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق علي محمد الجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، طباعة ونشر دار الفكر العربي، ط ٢، ص ٤٣١.

(٢) العمدة لابن علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، بيروت دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٥، ١٩٨١م، ص ٢١٧.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل، ط ٣، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص ٤٨.

(٤) الصبح المنبي عن حبيثة المتنبي، تأليف عبده زيادة، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة، ص ٤٤

المطلع الحسن والعذوية لفظاً والبراعة والجودة معنىً، لأنها أول ما يقرع الأذن، ويصافح الذهن".

والمطلع الحسن الجميل، فهو يجعل المستمع أو القارئ يتابع بقية الشعر، فيقول أبو هلال العسكري في ذلك^(١): "وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلي الاستماع لما يجئ بعده من الكلام".

وقد تحدث الكتاب كثيراً عن المطلع، ووضعا له ضوابط وأسس، وهذا هو محمد عبد الرحمن شعيب يقول^(٢): "وضابط المطلع الجيد لدى النقاد ما نكره صاحب أسس النقد الأدبي عند العرب في قوله "ما كان بيئاً واضحاً لا غموض فيه، سهل المآخذ لا تعقيد في تراكيبه، ولا صعوبة في فهم معناه ولا ينافي ذلك أن يكون أسلوبه فخماً جزلاً، كما اشترطوا لذلك تناسب قسميها بحيث لا يكون شطره الأول أجنبياً عن شطره الثاني، وألاً يرتفع شطرها الأول إلي منزلة سامية من حيث المعنى والصياغة وينزل شطرها الثاني عن تلك المنزلة السامية، كما اشترطوا أن يكون الذوق المرهف المهذب مصدرها وينوب عنها فلا يكون فيها ما يُشتم منه رائحة تشاؤم أو تطير، وألاً تشمل ما لا يصح أن يوجه به الخطاب إلي السامع".

إذا استصحبنا كل ما تقدم من حديث الأدباء والنقاد عن مطلع القصيدة نجد أن بناء مطالع قصائد المتنبي في وصف حروب سيف الدولة مع الروم تختلف من قصيدة إلى أخرى، ففي بعض الأحيان يبدأ بالنسيب وأحياناً يبدأ بالوقوف على ديار المحبوبة، وفي أحيان أخرى يدخل إلى غرضه مباشرة .

ونبدأ بمطالعه التي عمد فيها إلي غرضه مباشرة، والقصائد التي تصف الحرب غالباً لا تبدأ بغزل أو غيره، بل تبدأ بوصف هذه الحرب مباشرة. يقول بكار في ذلك^(٣): "وأما إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث، كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه ينبغي ألا تبدأ بالغزل".

(١)الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

(٢)المتنبي بين ناقديه "في القديم والحديث"، محمد عبد الرحمن شعيب، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر ١٩٦٤م، ص ١٤٤.

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم" في ضوء الحديث" للدكتور يوسف حسين بكار، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢١٤.

وكان المتنبي أحياناً يبدأ قصائده بالغرض مباشرة ، ويقول الدكتور عبد الله الطيب^(١):
 "ولعل المتنبي والشريف الرضي من أمثلة الشذوذ التي تعين على برهنة القاعدة، فكلاهما نفر
 من الزخرفة شيئاً، ورجع إلي القديم، ... وأما رجعة المتنبي فكانت معنوية، حيث إنه طلب
 الوضوح والقصد إلى الغرض مباشرة، وقد فطن النقاد إلي هذه الناحية منه، وشبهه ابن رشيق
 بالفارس الشجاع الجاسر الذي يهجم على مراده ولا يتلطف؛ وما أحسب إلا أن نشأة المتنبي
 البدوية، كانت ذات أثر بليغ في توجيهه إلي هذا الأسلوب".

وكان النقاد يوجهوا الأدباء بأن يكون ابتداء كلامهم يدل على مقصدهم مباشرة، ويقول
 صاحب الطراز في ذلك^(٢): "وكان النقاد يوجبون على من يتصدى لمقصد من المقاصد أن
 يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد، دالاً عليه شعراً كان أم نثراً".

ونبدأ بمطلع هذه القصيدة الجيمية التي يقول فيها المتنبي:

لهذا اليوم بعد غدٍ أريجٌ ونارٌ في العدو لها أجيحٌ^(٣)
 تبيتُ بها الحواضنُ آمناً وتسلمُ في مسالكها الحجيجُ

في مطلع هذه القصيدة عمد الشاعر إلي غرضه مباشرة، فقد حرّض جيش سيف الدولة
 وثبته وحثهم على الهجوم وأذّر العدو بما سينصب عليهم من نار هذه الحرب، وسيكون لهذا
 اليوم أخبار طيبة تسر نفوس المسلمين. فهذا المطلع ناسب الموقف، إذ الموقف موقف حرب،
 والجيش قد صف، والجنود قد تأهبوا، فلا مجال هنا للبدء بالغزل أو الوقوف على الديار أو
 غيره.

ومن القصائد التي ابتدأها الشاعر بذكر الغرض مباشرة، القصيدة التي يقول فيها المتنبي:

تُرورُ دياراً ما نُحبُّ لها مَعْنَى ونَسألُ فيها غيرَ ساكِها
 الإِذْنا^(٤)

نَقُودُ إِلَيْهَا الْآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيهَا الْكُمَاءُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا ظَنًّا

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ٢٠٩/٢.

(٢) الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، راجعه وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - الناشر دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، ٢٦٦/٢.

(٣) ديوان المتنبي، ص ١٩٩.

(٤) ديوان المتنبي، ص ٢٠٣.

هذه القصيدة قالها المتنبي، عندما تهيَّب جيش سيف الدولة لغزو الروم في مدينة سمندو سنة ٣٤٠هـ، فكانت هذه القصيدة تثبيتاً للجيش، وتحريضاً لهم على القتال، فافتتح المتنبي قصيدته هذه بذكر بزيارة سيف الدولة لديار العدو وأنهم لا يستأذنون أهلها في الدخول إليها، وهذا يدل على أن الشاعر وضع فيهم الثقة وردّها إلي قلوبهم، وكانت النتيجة أن إندفع سيف الدولة بهذا الجيش كأنه السيل.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها الشاعر بالعرض مباشرة القصيدة التي مطلعها:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ^(١)
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

قال الشاعر هذه القصيدة عندما هزم سيف الدولة الروم عند حصن الحدث، ممجداً سيف الدولة، رافعاً من قدر جيشه، وافتتح هذه القصيدة بذكر العزائم والمكارم وأنها تأتي على قدر همة أهلها وشهامتهم، فمن كان عظيم القدر جد أمره، ومضت عزائمه، ومن كان فشلاً اضمحلت عزائمه وبطلت مكارمه. يقصد من ذلك أن سيف الدولة عالي الهمة، قوي العزيمة، عظيم المكارم، لذلك جاءت عزائمه على قدره وذلك بانتصاره على الروم. وهو دخول إلي الغرض مباشرة، وهو وصف المعركة وذكر النتائج.

وأيضاً من القصائد التي افتتحها المتنبي بالعرض مباشرة قصيدته التي يقول فيها:

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلَوْنَ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا، وَإِلَّا فَلَا لَا^(٢)

شَرَفٌ يَنْطِحُ النُّجُومَ بَرَوْقِيهِ وَعِزٌّ يُقَلِّلُ الْأَجْبَالَ

فكان الغرض من هذه القصيدة وصف حال الروم وتمجيد سيف الدولة، عندما أراد الروم الإغارة على الحدث وعندما علموا بمقدم سيف الدولة هربوا وعادوا خائبين. فقد بدأ المتنبي القصيدة بالحديث عن المعالي، واصفاً معالي سيف الدولة بالسمو والرفعة، ومن أراد أن يعلو إلي المعالي، فليفعل كما فعل سيف الدولة.

ونجد من القصائد التي بدأها المتنبي بالعرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

(١) ديوان المتنبي، ص ٢٤٤.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٢.

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني^(١)

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

نظم المتنبي هذه القصيدة في وصف رحلة سيف الدولة وجنوده التي بدأت من حلب وانتهت بمنطقة الدرب، واصفاً كيفية عبورهم نهر ارسناس مع شدة جريانه وبرودته، ثم وصف مقتل الروم على يد سيف الدولة في ذاك الطريق، ثم وصف المعركة التي دارت بين سيف الدولة والروم في منطقة الدرب سنة ٣٤٥هـ ثم وصف هزيمة الروم وهروب قائدهم. وافتتح المتنبي هذه القصيدة بذكر أهمية الرأي والتدبير للمعارك ووضع الخطط لما له أثر في انتصار الجيش، لذلك وضع الرأي أولاً، ثم الشجاعة ثانياً.

وأيضاً من القصائد التي افنتحها المتنبي بالعرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

عُقبى اليمين على عُقبى الوعى ندمُ ماذا يزيدك في إقدامك القسم^(٢)

وفي اليمين على ما أنت واعدُهُ ما دلّ أنك في الميعاد مُتَّهمُ

قال المتنبي هذه القصيدة عندما تُحنت بحضرة سيف الدولة بأن قائد الروم أقسم عند ملكه أن يعارض سيف الدولة في الدرب، ويجتهد في لقائه، وخيب الله ظنه، وهي آخر قصيدة قالها المتنبي عند سيف الدولة وكان ذلك سنة ٣٤٥هـ، فقد بدأ المتنبي هذه القصيدة عن عاقبة اليمين، ذاكراً أن عاقبتها الندامة، لأن الذي يحلف على لقاء من لا يقاومه إنهم، ويكون إنهم أشنع، موضحاً أن هذا أشد من الإنهزام بلا يمين، وأن القسم لا يزيد شجاعة الإنسان إذا لم يكن في نفسه شجاعة.

وأيضاً من القصائد التي افنتحها المتنبي بالعرض مباشرة قصيدته التي مطلعها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ إن قاتلوا جبناً أو حدثوا شجعوا^(٣)

أهل الحفيظة إلا أن تجرَّهم وفي التجارب بعد العي ما يرعُ

(١) ديوان المتنبي، ص ٢٦٥.

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٦٨

(٣) ديوان المتنبي. ص ٢٠٠

قال المتنبي هذه القصيدة عندما انهزم سيف الدولة وجنوده عند عقبة قريية من بحيرة الحدث سنة ٣٣٩هـ.

فبدأ المتنبي هذه القصيدة بغناء حزين، وقد صورهم بأنهم أوفياء شجعان إذا تحدثوا، جنباء خونه إذا قاتلوا، فقد كانت لهجة المتنبي صادقة. يقول طه حسين^(١): "لم يكن توفيق المتنبي سياسياً وعملياً فحسب (في هذه القصيدة)، بل كان توفيقاً فنياً قبل كل شيء. فللهجة الشاعر في القصيدة صادقة كل الصدق، حارة كل الحرارة، وألفاظه ومعانيه ملائمة أشد الملائمة لهذا الصدق الحار، لأن المتنبي قد شهد الموقعة ورأى أطوارها كلها".
وهناك قصائد أفتتحها الشاعر بالنسيب، فهو يعطف القلوب ويجذب القارئ لمتابعة ما بعده.

يقول ابن رشيق^(٢): "وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلي اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلي ما بعده".

فمن هذه القصائد، قصيدته التي مطلعها:

لَعَيْنِيكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ
وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقُ مِنِّي وَمَا بَقِيَ

فقد بدأ الشاعر هذه القصيدة بالنسيب، حيث جعل كل شيء لقيه قلبه من ألم الشوق فيما مضى، وفيما يلقاه من بعد هو بسبب عيونها ولأجل حسناتها.

وقد جعل حازم القرطبي هذا المطلع من أحسن المطالع، يقول يوسف حسين بكار في ذلك^(٣): "غير أن حازماً القرطبي توسع في بحث المطلع، فصنف الجيد منه خاصة في ثلاث رتب، الأولى وهي - أحسنها - ما تناسب فيها حسن المصراعين وحسن البيت الثاني كقول المتنبي:

لَعَيْنِيكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ
وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقُ مِنِّي وَمَا بَقِيَ

(١) مع المتنبي - للدكتور طه حسين، طباعة ونشر دار المعارف بمصر، ص ٢٣٢.

(٢) العمدة لابن رشيق، مرجع سابق، ٢٢٥/١

(٤) ديوان المتنبي ص ٢٢٠.

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ٢٠٧.

وما كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَعْشَقُ

فإذا لم يكن البيت الثاني مناسباً للأول في حسنه، غض ذلك من بهاء المبدأ وحسنه لاسيما إذا كان فيه قبح من جهة لفظ أو معنى أو نظم أسلوب".

وأيضاً من القصائد التي بدأها المتنبي بالنسيب قصيدته التي مطلعها:

لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُورٌ طَوَالَ وَليْلِ العَاشِقِينَ طَوِيلٌ
يُيِّنُّ لِي البَدْرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ وَيُخْفِيزُنِي بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ^(١)

وصف هذه الليالي بأنها تتشابه في الطول، موضحاً كذلك أن ليل العشاق طويل، فهذه الليالي طوال، للسهر وبعْد النوم وفقد الروح والراحة، شوقاً إلي الظاعنين وهي طوال، لبعْد العهد باللقاء وطول المدة.

وقد عمد المتنبي بهذا المطلع إلي تهيئة سامعيه لاستماع ما سيقص عليهم من أنباء الحرب، وما سيعرض عليهم من أوصافها.

غير أن طه حسين يرى أن هذه الليالي المتشابهة في الطول، إنما رمز بها الشاعر إلي هذه الحياة فيقول^(٢): "هذه الليالي المتشابهة التي امضت وتقلت عليه لتشابهها، لم لا تكون رمزاً لهذه الحياة المتشابهة التي تمض وتنتقل بتشابهها.. ولم لا يكون البدر رمزاً لهذه الآمال النائبة، وهذه الهموم البعيدة التي تآقت إليها نفس الشاعر منذ أحس الحياة وقدر على النشاط". وبهذا لا يكون هذا المطلع نسيباً، بل يكون هجوماً على الغرض مباشرة على حسب قول طه حسين.

ومن ابتداءات المتنبي أيضاً، ذكر الديار والآثار. يقول ابن قتيبة^(٣): "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار، والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين".
ومن هذه الابتداءات قول المتنبي:

(١) ديوان المتنبي: ص ٢٢٦

(٢) مع المتنبي: ص ٢٣٩.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الناشر دار المعارف بمصر ١/٧٤.

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرَبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا^(١)

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعَ لَنَا فُوَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا

فقد خاطب المتنبي هنا ربع محبوبته، قائلاً: نحن نفديك بأنفسنا وإن كنت تزيد في غمنا؛ لخلوك من المحبوبة؛ لأنك كنت مألّف محبوبتي.

ولعل حياة المتنبي البدوية جعلته يذكر الديار والآثار في مطلع بعض قصائده ويقول ابن رشيّق^(٢): "ومقاصد الناس تختلف، فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين، والاشفاق منه وصفة الطول".

ب/ التخلص:

هو ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى، ثم عاد إلي الأول، وأخذ في غيره. والتخلص يكون في الشعر والنثر، وفي ذلك يقول بكار^(٣): "لم يفرق النقاد في التخلص بين شعر ونثر، ففي كليهما يرون أن يصل الشاعر أو الناثر المعنى صلة لطيفة بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلاً به وممتزجاً معه حتى يلتقي طرفا المدح والنسيب أو غيرهما من الأغراض المتباينة إلتقاءً محكماً دون إختلال في النسق أو تباين في أجزاء النظم".

ويعرفه ابن رشيّق^(٤) قائلاً: "وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلي معنى، ثم عاد إلي الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلي ما كان فيه".

ومن هذه التعريفات يتضح لنا أن التخلص، هو الانتقال من معنى إلي معنى آخر بكل سهولة ويسر بحيث لا ينفصل المعنى الأول عن الثاني. ولكن ابن رشيّق زاد على ذلك أن يعود الشاعر إلي المعنى الأول الذي انتقل منه، ثم بعد ذلك يأخذ في معنى غيره. لذلك يجيء التخلص حسب براعة الشاعر.

يقول العلوي^(٥): "وعلى قدر براعة الشاعر والخطيب والمصنف يكون حسن التخلص إلي

المقصود".

(١) ديوان المتنبي: ص ٢٠٨.

(٢) العمدة لابن رشيّق ٢٢٥/١.

(٣) بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ٢٢٢.

(٤) العمدة لابن رشيّق، ٢٣٧/١.

(٥) الطراز للعلوي، ١٨١/٣.

والمتنبي اهتم بهذا الفن اهتماماً شديداً، يقول الجرجاني في ذلك^(١): "أما أبوتام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب، واهتما به كل اهتمام، وانفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد وأحسن وزاد".

ونقف عند بعض تخلص المتنبي في قصائده التي هي موضوع بحثنا هذا. حيث تخلص من مدح سيف الدولة إلي الحديث عن المنهزمين من جيش سيف الدولة، فقال مخاطباً قائد الروم^(٢):

تَعْدُو الْمَنَايَا فَلَا تَنفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ
قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا
وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قَتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا

ثم عاد مرة أخرى وخلص إلي مدح سيف الدولة قائلاً^(٣):

وإنما عرض الله الجنود بكم لكي لا يكونوا بلا فسل إذا رجعوا
فكلُّ غزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وكلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ

ثم نجد هذا التخلص وهو تخلصه من النسب إلي وصف خيله التي تقتمح معه المعارك فقال^(٤):

أَلَحَّ عَلَيَّ السَّقْمُ حَتَّى أَلْفُتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
مَرَّرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَحَمَتُ جَوَادِي وَهَلْ تُشْجِي الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ

وأيضاً تخلص من الحديث عن نفسه إلي مدح سيف الدولة حيث قال^(٥):
حَلِيلِي إِيَّيْ لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ؟
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

(١) الوساطة للجرجاني ، ، ص ٤٨.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

وأيضاً من تخلصاته ، تخلصه من النسيب إلي المدح فقال^(١):

لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمُشْتُّ بِهَا وَبِي وَرَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَا
وَمَنْ تَكُنَّ الْأَسَدُ الضُّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلَهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَضْبَا

وجاء وتخلص من مدح نفسه إلي مدح سيف الدولة فقال^(٢):

فُرْبٌ غُلَامٍ عِلْمَ الْمَجْدِ نَفْسُهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلَمَّةٍ كَفَاها فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا

واستمر في مدح سيف الدولة إلى أن تخلص منه إلى وصف هزيمة الهمستق وأصحابه

أحسن تخلص فقال مخاطباً سيف الدولة^(٣):

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالْدُمُسْتُقُ هَارِبٌ وَأَصْحَابُهُ قَتَلَى وَأَمْوَالُهُ نَهْبَا
أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا

وفي قصيدة أخرى تخلص الشاعر من معنى إلي آخر تخلصاً جميلاً فقال^(٤):

نُودِعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابْنَ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ الْفَيْلِقِ
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدْرَقِ

حيث تخلص من الحديث عن المحبوبة ووصف الفراق والوداع إلي وصف رماح سيف الدولة، فشبّه ألم هذا الفراق بالألم الذي تفعله رماح سيف الدولة في قلب الفيلق (وسط العسكر).

وفي قصيدة أخرى، يتخلص الشاعر من النسيب إلي مدح سيف الدولة تخلصاً جميلاً

فقال^(٥):

وَيَوْمًا كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عِلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولُ

(١) ديوان المتنبي ٢٠٩

(٢) ديوان المتنبي ص ٢٠٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

ولكنه وما قبل سيف الدولة أثار عاشق ولا طلبت عند الظلام دُخُولُ

يأتي

بكل غريبة تروق على استغرابها وتهول

ثم خلص إلي وصف حروب الدمستق وأسر ابنه قسطنطين فقال^(١):

فودع قتلاهم وشيع فلهم بضرب حزون البيض فيه سهول
على قلب قسطنطين منه تعجب وإن كان في الساقين منه كبول
لعلك يوماً يا دمستق عائد فكم هارب مما إليه يؤول

وفي قصيدة أخرى يتخلص الشاعر من القسم الذي أقسمه شمشيق (ملك الروم) إلي

مدح سيف الدولة حين قال^(٢):

ألى الفتى ابن شمشيق فأحنئه فتى من الضرب ينسى عنده الكلم

كل الشيوف إذا طال الصراب بها يمشها غير سيف الدولة السام
ج/الخاتمة:

الخاتمة هي آخر ما يقوله الشاعر في قصيدته، ولا بد أن تكون حسنة جميلة، لأنها آخر ما يبقى في ذهن القارئ أو المستمع من الشعر. يقول ابن رشيق^(٣): "وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسيله أن يكون محكماً، لا تمكن الزيادة عليه... وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه". ويقول العلوي^(٤): "الخاتمة في كل شئ هي العمدة في محاسنه والغاية في كماله". وكان المتأخرون يجيدون الخاتمة، على عكس المتقدمين، فإنهم كانوا لا يجيدون الخاتمة. يقول العلوي^(٥): "فأما المتقدمون من الشعراء كامرئ القيس، والنابغة، وطرفة وغيرهم من شعراء الجاهلية فليس لهم فيها كل الإجادة، وإنما الذي أجاد فيه المتأخرون كأبي نواس، والمنتبي والبحثري وأبي تمام".

(١) ديوان المنتبي : ص ٢٢٩.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٨.

(٣) العمدة لابن رشيق ، ٢٣٩/١.

(٤) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

(٥) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

وقد وضع النقاد شروطاً للخاتمة ذكرها بكار فقال^(١): "فقد اشترط النقاد في الختام أن يكون على أحد الأوجه التالية:

١- أن يكون الختام في كل غرض ما يناسبه ، ساراً في المديح والتهاني، وحزيناً في الرثاء والتعازي.

٢- أن يكون اللفظ مستعذباً، والتأليف جزلاً مناسباً.

٣- أن يكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها.

٤- أن يتضمن حكمة أو مثلاً سائراً.

وكان النقاد يكرهون أن تختتم القصيدة بالدعاء إلا للملوك. وينبغي أن تكون أواخر القصائد عندهم حلوة المقاطع، توقن النفس بأنه آخر القصيدة لئلا يكون كالنثر.

إن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ختم سورة بأحسن ختام. يقول العلوي^(٢): "إن الله تعالى ختم كل سورة بأحسن ختام، ألا ترى ما ختم به سورة الفاتحة، فختمها بما يناسب معناها، وأختتم سورة آل عمران بالصبر على المكاره، والمصابرة على الجهاد لأعداء الله، فقال^(٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وبما كان من الوعد والوعيد في خاتمة سورة الأنعام بقوله^(٤): ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقد أجاد المتنبّي فن الخاتمة كل الإجابة وكان يختم قصائده إما بحكمة أو بذكر النصر.

هذه الخواتيم كلها على غاية في الحسن والرشاقة.

وإليك خاتمة كل قصيدة من قصائد هذا البحث، ونبدأ بما ختمه بحكمة فالقصيدة التي مطلعها^(٥):

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا وَإِنْ حَدَّثُوا شَجَعُوا

(١) بناء القصيدة لكار، ص ٢٣١.

(٢) الطراز للعلوي، ١٨٣/٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(٥) ديوان المتنبّي، ص ٢٠٠.

ختمها الشاعر بحكمة فقال^(١):

إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبْعُ

وهذه الحكمة تعني أنه ليس كل مقاتل يحمل السلاح فهو شجاع، كما أنه ليس كل حيوان لديه مخالب فهو مفترس كالأسد، وقصد الشاعر بهذه الحكمة، أن جنود سيف الدولة المنهزمين جبناً، لأنهم لم يثبتوا في المعركة، وهذا ختام جميل، لأنه يتضمن حكمة، وهذه الحكمة معناها يناسب الغرض من القصيدة.

أما القصيدة التي مطلعها^(٢):

تَزُورُ دِيَاراً مَا نُحِبُّ لَهَا مَعْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِيهَا الإِذْنَآ

فختمها الشاعر بتثبيت جنود سيف الدولة، وعدم الخوف من العدو، عندما تهيب جيش سيف الدولة لقتال الروم في سمنندو سنة ٣٤٠ هـ قال^(٣):

وَمَا الخُضُوفُ إِلاَّ مَا تَخَوَّفَهُ الفَتَى وَلَا الأَمْنُ إِلاَّ مَا رَأَهُ الفَتَى أَمْنَا

فهذا الختام الذي يصور فيه الشاعر للجنود الخوف والأمن، ذاكراً أنهما حسب ما يتصورهما الإنسان في نفسه، فإذا تصور في الشيء أنه مخوف خافه، وإن لم يكن مخوفاً، إذا تصور في نفسه أنه الشيء مأمون أمن منه، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة، وهذا يعني أن الشاعر يريد من الجنود أن يتصوروا كل شيء أمناً حتى يثبتوا ويقاتلوا وينتصروا، وبهذا فقد رد الشاعر إلي قلوبهم الثقة وأثار فيها الحماسة ثم اندفع بهم سيف الدولة كأنهم السيل.

والقصيدة التي مطلعها^(٤):

عَوَازِلُ ذَاتِ الخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنَ ضَجِيعَ الخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ

ختمها الشاعر بحكمة فقال^(٥):

فَإِنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بِالعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الحُبِّ بِالجَهْلِ فَاسِدٌ

(١) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٣) المرجع السابق، ٢٠٣.

(٤) ديوان المتنبي ص ٢٠٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

فهذه الحكمة التي تعني أن القليل من الحب إذا كان مع العقل، أصلح من الحب الكثير إذا كان مع الجهل، فهذا ختام حسن لأنه يحمل بين طياته حكمة.

أما القصيدة التي مطلعها^(١):

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْنَا كَرِبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا

فقد ختم الشاعر هذه القصيدة التي يصف فيها انتصار سيف الدولة على الروم وبذم الملوك الآخرين . بقوله^(٢):

فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ فهذا الذي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرِّيَا

وهذا الختام فيه ثناء لسيف الدولة، الذي يرضى ربه بجهاده للمشركين وفشلهم، يرضى أيضاً مكارمه بأفعاله هذه ،وغيره من الملوك إما يرضى الكفر وإما يرضى اللؤم. وهذا الختام ناسب غرض القصيدة، لأنه جاء ساراً.

والقصيدة التي مطلعها^(٣):

لَعَيْنِيكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ وللحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ

فهذه القصيدة التي قالها الشاعر ليلقي بها الرعب في نفوس رسل ملك الروم ، الذي جاء إلي سيف الدولة يلتمس الفداء ختمها بحكمة فقال^(٤):

وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلَ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلُ السَّعِيدِ الْمُؤَفَّقِ

وهذه الحكمة تشير إلي أن الفضل الظاهر لا ينصر صاحبه على أعدائه، حتى يوافقه على ذلك سعادة جده وتوفيق ربه، والله سبحانه وتعالى يوفق وينصر عباده الذين يؤمنون به، ويحاربون في سبيله. وهذا ختام حسن لأنه تضمن هذه الحكمة الرائعة.

وقد يختم بذكر النصر فالقصيدة التي قالها المتنبي عندما إنتصر سيف الدولة على الروم عند نهر جيحان سنة ٣٤٢ هـ ومطلعها^(٥):

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٤) ديوان المتنبي ، ص ٢٢٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٦.

لِيَايَ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ سُكُوتٌ طَوَالَ وُلَيْلِ العَاشِقِينَ طَوِيلُ

فقد ختمها بذكر النصر حيث يقول^(١):

فَإِنْ تَكُنِ الدُّوَلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ وَرَدَ المَوْتَ الزُّوَامَ تَدُولُ
لِمَنْ هَوْنَ الدُّنْيَا عَلَى النُّفْسِ سَاعَةً وَلِبَيْضِ فِي هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ

ختم الشاعر هذه القصيدة بأحقية الدولة، وذكر أن الدولة أحق بها الذي يقتحم الأهوال، ويباشر القتال، وأيضاً هي لمن هون الدنيا على نفسه ساعة، في موضع الضرب والطعن، وضرب على شذائدها في تلك الحال، لأنه متى صبر فاز بالظفر والغلبة.

وهذا الختام حسن، لأنه يتضمن النصر والسرور.

أما القصيدة التي مطلعها^(٢):

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

فقد قالها المتنبي عندما هزم سيف الدولة الروم عند حصن الحدث ثم أقام الحدث بعد ذلك، وكان ذلك سنة ٣٤٣هـ.

وختم المتنبي هذه القصيدة بأن سيف الدولة ينصر الإسلام فقال^(٣):

وَلِمَ لَا يَبْقَى الرَّحْمَنَ حَدِيكَ مَا وَقَى وَتَفْلِيقَهُ هَامَ العِدَى بَكَ دَائِمُ

وهذا الختام يتضمن النصر لسيف الدولة الذي يعتبر نصراً لله وللإسلام، لذلك فإن الله قد حفظه من الأعداء.

فهذا ختام حسن، لأنه يتضمن النصر لله ولدينه، ويتضمن الفرحة والسرور.

وفي بعض القصائد يختم بشيء من المدح فالقصيدة التي مطلعها^(٤):

أَرَاكَ كَذَا كُلَّ الأَنَامِ هُمَامُ وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ المُلُوكِ غَمَامُ؟

قالها المتنبي عندما قدم رسول ملك الروم إلى سيف الدولة في طلب الهدنة، وذلك

سنة ٣٤٤هـ، وختمها المتنبي بمدح سيف الدولة فقال^(١):

(١) ديوان المتنبي، ص ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٣) ديوان المتنبي، ص ٢٤٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٨.

فَلَيْسَ لِشَّمْسٍ مُدًّا أَنْتَرَتْ إِنْارَةً وَلَيْسَ لِبَدْرِ مُدًّا تَمَمَّتْ تَمَامُ

إن سيف الدولة أفضل ملوك عصره وكرام دهره، وهو أحسنهم فعلاً.

والقصيدة التي مطلعها^(٢):

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونُ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَالْأَفْلا لَا

قالها المتنبي عندما نقض الروم الهدنة وأغاروا على الحدث ليستردوه ، وعلم سيف

الدولة ونهض لهم، فلما علموا بمقدمه عادوا أدرجهم وذلك سنة ٣٤٤هـ.

والقصيدة التي مطلعها^(٣):

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدْمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ

هذه القصيدة قالها المتنبي عندما أقسم قائد الروم عند ملكه، أن يعارض سيف الدولة في

الدرب، فخبب الله ظنه، وذلك سنة ٣٤٥هـ، وهي آخر قصيدة قالها عند سيف الدولة.

وقد ختم المتنبي هذه القصيدة بمدح سيف الدولة ومدح نفسه فقال^(٤):

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خْتَمُوا

وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ

الصَّمَمُ

ذكر المتنبي أن سيف الدولة هو أكرم الكرماء، ووصف نفسه بأنه خاتم الشعراء.

أجاد المتنبي بناء قصيدة الوصف أحسن الإجابة ، فيقول ابن رشيق في ذلك^(٥):

"وقد أرى أبو الطيب على كل شاعر في جودة هذه الأمور الثلاثة المطلع والتخلص والخاتمة".

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٣) ديوان المتنبي، ص ٢٦٨.

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٧٢.

(٥) العمدة لابن رشيق ١/٢١١.

المبحث الثاني موسيقى القصيدة

نتناول في هذا المبحث معنى الموسيقى، ونتعرف على أهميتها في الشعر، وأيضاً ندرس عنصري الموسيقى وهما الوزن والقافية، ونتعرف على بحور الشعر التي استخدمها المتنبي في هذه القصائد، وأي هذه البحور أكثر استخداماً، ولماذا؟.

المقصود بالموسيقى الوزن والقافية، فالموسيقى ملازمة للشعر، بل لا يوجد شعر بدون موسيقى. يقول شوقي ضيف^(١): "فلا يوجد شعر بدون موسيقى، وهي فيه تقوم مقام الألوان في الصورة، فكما أنه لا توجد صورة بدون ألوان كذلك لا يوجد شعر بدون موسيقى".

والموسيقى تعطي الشعر رونقاً وجمالاً، وتثير فينا إنتباهاً. ويقول محمد مندور^(٢): "والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا إنتباهاً عجبياً وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تتسجم مع ما نسمع من مقاطع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تتبو إحدى حلقاتها عن مقاييس والتي تنتهي بعد عدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية".

فقد ظلت الموسيقى ملازمة للشعر في جميع العصور، وما زالت ملازمة له، يقول محمد مندور^(٣): "قال شعر جاءنا منذ القدم موزوناً مقفى والشعر لا يزال في جل الأمم موزوناً مقفى نرى موسيقاه في أشعار البدائيين وأهل الحضارة ويستمتع بها هؤلاء ويحافظ عليها هؤلاء وهؤلاء".

والعلماء جميعاً يتفقون على أهمية الموسيقى في الشعر ويرون لها فوائد كثيرة ذكرها محمد مندور في كتابه الأدب وفنونه فقال^(٤): "فإزونها تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً عملياً واقعيّاً. هذا إلي أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال وتجعله مصقولاً مهذباً، تصل معانيه إلي

(١) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، مطبعة دار المعارف، القاهرة: ٢، ١٩٦٦م، ص ٩٧.

(٢) محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٣م، ص ٢٧٦.

(٣) محمد مندور، ص ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

القلب بمجرد سماعه. وكل ذلك مما يثير منا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً".

فالموسيقى إذن عنصر أساسي في الشعر، ويضيف لنا شوقي ضيف أشياء أخرى مع الموسيقى فيقول^(١): "ومهما يكن فالموسيقى عنصر أساسي في القصيدة أو في التجربة الشعرية، وليست هي التي تثير فينا كل تأثيرها، إنما تثيره معها العناصر السابقة من الأحاسيس والمشاعر النفسية والتأملات العقلية والخيال. ولا بد أن تلتحم هذه العناصر التحاماً تاماً، بحيث تنمو في القصيدة من خلالها نمواً عضوياً دقيقاً".

والآن ننتقل إلي الحديث عن عناصر موسيقى الشعر وهما الوزن والقافية.

البحور المستخدمة في القصائد موضوع الدراسة:

استخدم المتنبي خمسة بحور من مجموع البحور كلها، وهذه البحور هي:

الطويل والبسيط والكامل والخفيف والوافر.

ونتناول هذه البحور حسب كثرة استخدامها في هذه القصائد.

١/ البحر الطويل:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

وهو أكثر بحر استخدمه المتنبي في هذه القصائد بل هو أكثر بحر استخدمه في جميع شعره، حيث استخدمه في ست قصائد من مجموع إحدى عشرة قصيدة، وهذا يعني أنه استخدمه في أكثر من نصف هذه القصائد.

وبحر الطويل أكثر البحور المستخدمة في الشعر العربي وخاصة القديم، يقول إبراهيم أنيس^(٢): "ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن".

وأيضاً نجد أن الغربيين يربطون بين العاطفة والوزن، فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس. ولا بد أن تتغير نغمة الإنشاد تبعاً للحالة النفسية. يقول إبراهيم أنيس

(١) شوقي ضيف في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٢) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، طباعة ونشر مكتبة الإتحاد المصرية، ط ٣، ١٩٦٥، ص ٥٩.

في ذلك^(١): "والمرء وإن كان يستطيع في النفس الواحد أن ينطق بمقاطع كثيرة، إلا أن قدرته في هذا محدودة يسيطر عليها ما هو فيه من حالة نفسية: وهو حين يكون هادئاً وادعاً أقدر على النطق بمقاطعته الكثيرة دون أن يشوبها إبهام في لفظها، وهو أقل قدرة على هذا حين يكون متلهفاً سريع التنفس كما هو الحال في الانفعالات"، وقد استخدم المتنبي هذا البحر خير استخدام في وصف هذه المعارك.

يقول عبد الله الطيب^(٢) في ذلك: "وقد أتيح للطويل بعد البحري شاعر آخر بلغ به غايات بعيدة في صفات الملاحم وذلك هو أبو الطيب وشعره في هذا الباب من الكلم البواقى" ويواصل عبد الله الطيب في وصف هذا البحر فيقول: "وحقيقة الطويل أنه بحر الجلالة والنبالة، ولو قلنا أنه بحر العمق لاستغنينا بهذه الكلمة عن غيرها، ولذلك فإنك لا تجد قصائد الطويل الفرد إلا منحوراً بها نحو الفخامة والأبهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس، واستشارة الخيال وتخير المعاني".

وأيضاً نجد المدح والوصف من الموضوعات التي لا تتفعل لها النفس، وهي بهذا تدخل في بحر الطويل والبسيط والكامل فيقول إبراهيم أنيس في ذلك^(٣): "أما المدح فليس من الموضوعات التي تتفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع، كالطويل والبسيط والكامل، ومثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام".

وأيضاً نجد أن إبراهيم أنيس قد قسم أبيات المتنبي جميعها على البحور فقال^(٤): "أو نظرنا في ديوان المتنبي نجد إنه اشتمل على ما يقرب من "٥٣٠٠" من الأبيات موزعة حسب النسب الآتية:

الطويل ٢٨%	الكامل ١٩%	البسيط ١٦%
الوافر ١٤%	الخفيف ٩%	المنسرح ٧%

(١) د. إبراهيم أنيس، ص ١٧٥.

(٢) المرشد إلي فهم أشعار العرب، ج ٤١٣-٤١٤.

(٣) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ١٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩٧.

السرّيع ١%

الرجز ٢%

المتقارب ٤%

فنى من هذه النسب أن العصر الذي عاش فيه المتنبي قد ظل شعراؤه يحتفظون بنسب القدماء في أوزان الشعر وبحوره. ولكن عنايتهم بالمجزوءات زادت.

نرى من كل هذا أن الشعراء ظلوا حتى عهود العباسيين ينسجون على منوال من سبقوهم إلا في النظم من المجزوءات التي كثرت أشعارها على توالي الأيام".

ولهذه الأسباب ومن النسب السابقة نجد أن المتنبي قد نظم في بحر الطويل أكثر شعره وهذه القصائد من ضمن شعره. يقول إبراهيم أنيس^(١): "إذًا قورنت هذه النسب بعضها ببعض. نسبة المتنبي مع نسب شعراء آخرين. إستطعنا الحكم بسهولة على أن البحر الطويل قد نُظِمَ منه ما يقرب ثلث الشعر العربي وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن. وهو لكثرة مقاطعه يناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة".

واليك مطالع القصائد التي نظمت في هذا البحر:

- أ. فَدَيْنَاكَ مِنْ رِبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرَبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا^(٢)
ب. عَوَازِلُ ذَاتِ الخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنَّ ضَجِيعَ الخَوْذِ مَنِّي لَمَاجِدُ^(٣)
ج. نُرُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِيهَا الإذْنَا^(٤)
د. لِيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طَوَالٌ وَلَيْلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ^(٥)
هـ. عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَرَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ^(٦)
و. أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الأَنَامِ هُمَامُ وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ المُلُوكِ غَمَامُ^(٧)

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ١٩١.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٨

(٦) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ٣٩٢.

٢/ البحر البسيط:

وتفعيلات هذا البحر:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وهو البحر الثاني من حيث كثرة الاستخدام في هذه القصائد - أعني قصائد الوصف - حيث استخدم هذا البحر في قصيدتين من مجموع إحدى عشرة قصيدة، وهو البحر الثالث من حيث كثرة شيوعه في شعر المتنبي عامة.

وهو أخو الطويل في الجلالة والروعة، يقول إبراهيم أنيس^(١): "الطويل والبسيط أطولاً بحور الشعر العربي، وأعظمهما أبهةً وجلالةً، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة".

ونجد أن الأسباب التي أدت إلى انتشار وكثرة النظم من بحر الطويل لدى المتنبي هي نفس الأسباب التي جعلت البسيط يأتي في المرتبة الثانية من حيث انتشاره في هذه القصائد، وسبب آخر هو أن البحر البسيط يُعبر عن العنف، وهذه القصائد قصائد عنف. يقول عبد الله الطيب في ذلك^(٢): "إن البحر البسيط شديد الصلاحية للتعبير عن العنف". ويقول أيضاً^(٣): "وللمتنبي من الشعر العنيف في بحر البسيط روائع عدة".

والقصائد التي نظمها في هذا البحر مطالعها:

١- عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ^(٤)

٢- غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْحَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا وَإِنْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(٥)

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج ٣، ص ٤٢٣..

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٧٣.

(٤) ديوان المتنبي، ص ٢٦٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

٣/ بحر الكامل:

وتفعيلات هذا البحر

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

متفاعلن متفاعلن متفاعلن

هو البحر الثاني من حيث الشبوع في الأشعار العربية ، وفي شعر المتنبي أيضاً يقول أنيس^(١): "هو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله - إن أريد به الجدّ- فخماً جليلاً، ويجعله إن أريد به إلي الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقّة، حلواً عذباً مع صلصة كصلصة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون خفيفاً أو شهوانياً، وهو بحرٌ كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جد أم هزل. ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف حتى لا يمكن فصله عنها بحالٍ من الأحوال".

وهذه الصفات؛ أي صفة الجلجلة والحركة وصفة الفخامة والجلالة ، وصفة الأبهة ، هذه الصفات هي التي جعلت المتنبي يتخذ من هذا البحر ضمن بحور هذه القصائد - قصائد وصف المعركة- التي تتطلب هذه الصفات.

وقد نظم المتنبي من هذا البحر قصيدة واحدة من مجموع هذه القصائد ، ومطلع هذه

القصيدة هو:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني^(٢)

٤/ البحر الخفيف:

وتفعيلات هذا البحر هي:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ونجد أيضاً في هذا البحر الفخامة، ولكن فخامته أقل من فخامة الطويل والبسيط. يقول في ذلك عبد الله الطيب^(٣): "إن الخفيف يجنح صوب الفخامة، هذا بالنسبة إلي السريع والأخذ والمنسرح.

(١) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ٢٦٤.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٥.

(٣) المرشد إلي فهم أشعار العرب، ص ٢٠٥.

أما إذا وازناه بالطويل والبسيط فهو دونهما في ذلك، والسر في فخامته بالنسبة للبحور التي ذكرناها، أنه واضح النغم والتفعيلات".

وهو بحر متعدد الأغراض ذكر لنا هذه الأغراض عبد الله الطيب فقال^(١): "وقد اختلفت أغراض هذا البحر بين طرفي الغزل والحماسة، والمديح والهجاء، والرثاء والفخر، ومع ذلك فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا، من وضوح النغم واعتداله، بحيث لا يبلغ حد اللين، ولا حد العنف، ولكن يأخذ من كل بنصيب".

ونجد أن المتنبي وجد في هذا البحر فخامة وحماسة ونوعاً من العنف لذلك نظم فيه قصيدة واحدة من قصائده في وصف معارك سيف الدولة مع الروم والقصيدة مطلعها:

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُونَنَّ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا ، وَإِلَّا فَلَا لَا^(٢)

٥/ بحر الوافر:

وتفعيلات هذا البحر هي:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

يمتاز هذا البحر بميزات غريبة يذكرها لنا إبراهيم أنيس فيقول^(٣): "يحدث في كل شطر خاصة غريبة، وهي أن عجزه سريع اللحاق بصدرة، حتى إن السامع لا يكاد يفرغ من سماع الصدر حتى يهجم عليه العجز، لا بل الشاعر نفسه أثناء النظم فيما أرجح يشعر بهجوم العجز والقافية بمجرد فراغه من الصدر" ويواصل أنيس حديثه عن صفات هذا البحر فيقول^(٤): "وحقيقة الأمر أن الوافر بحر مسرع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق". وعن أغراض هذا البحر يقول^(٥): "وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم في معرض المدح".

فأراد المتنبي أن يفخر بسيف الدولة وبجيشه، فاستخدم هذا البحر وقد نظم في هذا البحر قصيدة واحدة من قصائد بحثنا هذا ومطلع هذه القصيدة يقول:

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٦٢.

(٣) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ٣٥٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

لهذا اليوم بعد غدٍ أريجٌ ونارٌ في العدو لها أجيحٌ^(١)

وهذه البحور الخمسة التي نظم فيها المتنبي قصائده في وصف معارك سيف الدولة مع الروم هي أكثر البحور انتشاراً في الشعر العربي على مدى العصور. يقول إبراهيم أنيس في ذلك^(٢): "ثم ترى كلاً من الكامل والبسيط يحل المرتبة الثانية في الشيوخ - بعد الطويل - وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف، وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم فيها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية". فالمتنبي اختار أشهر بحور في الشعر العربي ونظم فيها هذه القصائد، لذلك جاءت قوية وعنيفة.

ثانياً: القافية:

هي التي ينتهي بها بيت الشعر ، وقد وصفها محمد مندور بالأصوات المتكررة في آخر البيت، فيقول في ذلك^(٣): "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشرطة أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة". والقافية مهمة فهي جرس موسيقى للقصيدة ، يقول محمد مندور: "القافية قيمة موسيقية في مقطع البيت وتكرارها يزيد في وحدة النغم ولدراستها في دلالتها أهمية عظيمة فكلماتها - في الشعر الجيد - ذات معان متصلة بموضوع القصيدة، بحيث لا يشعر المرء أن البيت مجلوب من أجل القافية بل تكون هي المجلوبة من أجله".

ونخلص من هذا الفصل إلي أن المتنبي كان يعمد -في قصائده هذه- إلي عرضه مباشرة، إلا في قليل من هذه القصائد والتي بدأها بالنسيب والوقوف على الديار، وأيضاً إهتم المتنبي بالتخلص اهتماماً شديداً، وكان تخلصه من النوع السهل الجيد، وقد أجاد المتنبي ختام هذه القصائد والتي اختتم أغلبها بالحكمة، أما بالنسبة لموسيقى هذه القصائد فقد أهتم المتنبي بالوزن والقافية، ومن الملاحظ أن أغلبية أوزان هذه القصائد من بحر الطويل.

(١) ديوان المتنبي ، ص ١٩٩ .

(٢) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص ١٩٢ .

(٣) الأدب وفنونه، محمد مندور ، ص ٢٧٢ .

الفصل الثاني

استخدام الصورة البيانية

المبحث الأول: التشبيه:

يعرّف أبو هلال العسكري التشبيه فيقول^(١): (التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب). ويقول ابن رشيق: (التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كاملة لكان إيّاه)^(٢).

أقسام التشبيه:

وسنتناول التشبيه باعتبار أركانه، وباعتبار وجه الشبه.

١ / التشبيه باعتبار أركانه:

للتشبيه أربعة أركان هي: المشبه والمشبه به ووجه الشبه، وأداة التشبيه، على أساس هذه الأركان ينقسم التشبيه إلى أربعة أقسام وهي: مرسل مفصل، ومرسل مجمل، ومؤكد مفصل، وبلغ.

(١) الصناعتين ٢٦١.

(٢) العمدة ٢٨٧.

أ/ مرسل مفصّل:

وهو ما ذكرت فيه أركان التشبيه الأربعة، ونجد ذلك في قول المتنبي^(١):
فَأُورِدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ * * فَتَى بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ

نجد التشبيه في قوله (بأسُهُ مثلُ العطاءِ جَزِيلٌ) حيث شبه الشاعر البأس بالعطاء في الكثرة، فذكر أركان التشبيه الأربعة وهي المشبه (البأس) والمشبه به (العطاء) ووجه الشبه (جزيل) والأداة (مثل). فالشاعر شبه لنا البأس وهو شئ يدرك بالعقل لا بالحواس، فقد شبهه بالعطاء وهو أيضاً يدرك بالعقل، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً عقلياً وهو البأس بشئ عقلي وهو العطاء، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد فيها أن الذي يعطي يكون عطائه جزيلاً ؛ لأنه يعطي عن رغبة وعن طيب خاطر فقد استطاع الشاعر أن يظهر لنا بهذا التشبيه بأس الممدوح، وهو أمر قد توفّق فيه الشاعر، للأسباب التي ذكرتها آنفاً.

ب/ مرسل مجمل:

وهو حذف منه وجه الشبه ومثل ذلك قول الشاعر^(٢):

تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا * * مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرَّمَاحِ مَرَاوِدٌ^(٣)

التشبيه في قوله (كأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرَّمَاحِ مَرَاوِدٌ) فقد شبه الشاعر مفاصل هذه الخيل (فالضمير ها في مفاصلها يعود للخيل) في حركتها بمسار المروود الذي يدور حيثما أدير، فنجد أن الشاعر لم يذكر لنا وجه الشبه الذي هو حرية الحركة في جميع الاتجاهات، فقد شبه الشاعر مفاصل الخيل، وهي شئ محسوس، لأننا ندركه بحاسة البصر وهي إحدى الحواس الخمسة، والمشبه به (مسار المروود) وهو شئ محسوس أيضاً، فنذكره بحاسة البصر، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً وهو مفاصل الخيل

(١) ديوان المتنبي ٢٢٨.

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٥.

(٣) المراد: جمع مرؤد وهو الحلقة التي في رسن الدابة (المراد به اللجام).

بشئ محسوس وهو مسمار المرود، وهذا من محاسن التشبيه لأنه أدرك بحاسة البصر، مما يجعل هذه الصورة راسخة في الذهن، باقية الذكر، يقول الجرجاني^(١) في ذلك "أن مما يقتضى كون الشئ على الذكر، وثبوت صورته في النفس أن يكثروا دورانه على العيون، وبدوم تردده مع مواقع الإبصار، وأن تدركه الحواس في كل وقت، أو في أغلب الأوقات، وبالعكس وهو أن من سبب بعد ذلك الشئ عن أن يقع ذكره بالخاطر، وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته....، وذلك أن العيون هي التي تحفظ صورة الأشياء على النفوس، وتجدد عهدا بها، وتحرسها من أن تدثر وتمنعها أن تزول". وهذا تشبيه رائع ، لأن الشاعر استطاع أن يوضح كيفية استدارة هذا الخيل عند القتال، وتمايلها بفارسها، على حسب ما يحتاج إليه الفارس، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من عالم الحيوان، وخص الخيل التي يربط لها لجام حتى يستطيع الراكب عليها أن يقودها به إلى الاتجاه الذي يريده.

وأنظر إليه كيف وصف جيش سيف الدولة بالقوة في هذا البيت قائلاً^(٢):

وَجَيْشٌ يَنْبِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ ** خَرِيقُ رِيحٍ وَاجَهَتْ غُصْنًا رَطْبًا

فقد شبه الشاعر جيش سيف الدولة برياح شديدة، ولم يذكر لنا الشاعر وجه الشبه (القوة)، ولم يكشف بهذا التشبيه الذي يصور لنا هذا الجيش قوياً شديداً عند المواجهة، بل زاد على ذلك أن جعل هذه الرياح الشديدة تواجه غصناً رطباً، فلك أن تتخيل ماذا تفعل هذه الرياح الشديدة بهذا الغصن الرطب، وكم من الزمن يأخذ ذلك، فهذا هو حال جيش سيف الدولة عندما يلاقي عدوه، والشاعر في هذه الصورة شبه لنا جيش سيف الدولة الذي يدرك بحاسة البصر شبهه بالرياح الشديدة ، التي تدرك أيضاً بحاسة البصر فهو إذاً عوضنا محسوساً بمحسوس، والشاعر استنبط لنا هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها

(١) أسرار البلاغة ١٤٤.

(٢) ديوان المتنبي ٢١١.

هذه الرياح الهوجاء التي تفعل الكثير بما يقف أمامها ، ومن روائع تشبيهات؛ لأنه استطاع أن يرسم صورة لهذا الجيش تعرّف القارئ بمدى قوة وبسالة هذا الجيش العظيم. ونجد الشاعر يصور لنا سرعة خيل سيف الدولة قائلاً^(١):

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا ** تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سَيْوُلُ

شبه الشاعر انحدار هذه الخيل في نهر الفرات بتدافع السيل، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو السرعة، يريد أن هذه الخيل سريعة جداً وتنتقل بهذه السرعة من مكان إلي آخر، وشبهها بالسيول لأن السيول تقع من موضع إلي موضع من الوادي، فنجد المشبه (الخيول) تدرك بحاسة البصر، ونجد المشبه به (السيول) تدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها السيول تتدافع فيها من موضع إلي آخر ، وبسرعة.

وعن تزلق الخيل في الجبال يقول الشاعر^(٢):

إِذَا زَلَقَتْ مَسِيَّتَهَا بِبُطُونِهَا ** كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ

تزلقت الخيل عند صعودها الجبل لملاسنة، وقد انسابت على بطونها وهي تصعد للأعلى، شبه ذلك بالحيات وهي تمشي في التراب، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو المشي على البطن، فنجد المشبه (تزلق الخيل) شئ يدرك بحاسة البصر، ونجد المشبه به (مشي الحيات في التراب) شئ يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر أيضاً عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من عالم الزواحف، التي تمشي زحفاً على بطونها، وهي حكمة الله وقدرته التي جعل فيها كل مخلوق يمشي بطريقة توافق بعض المخلوقات وتخالف البقية، فقد وُفِّقَ الشاعر في هذه الصورة؛ لأنها بيّنت إصرار سيف الدولة على اللحاق بالروم في أعلى الجبل.

(١) المرجع السابق ٢٢٨.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٧.

وأنظر إليه بماذا شبه ماء النهر قبل أن تسيل عليه دماء القتلى، وبماذا شبهه بعد أن
سالت عليه دماء القتلى: (١):

رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابَهُ ** وَتَى الْأَعِنَّةِ وَهُوَ كَالْعِقْيَانِ

حيث نجده شبه ماء نهر أرسناس بالفضة في البياض، وذلك قبل أن تسيل عليه قتلى
الروم، (فالضمير هـ) في حسابه راجع إلي الماء في البيت قبله، ثم جاء وشبه هذا الماء بعد
أن سالت عليه دماء القتلى وأحمرّ لوه فشبهه بالذهب في الحمرة، وفي التشبيهين لم يذكر
الشاعر وجه الشبه، في التشبيه الأول، وهو الماء يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو الفضة
يدرك أيضاً بحاسة البصر، وفي التشبيه الثاني نجد المشبه وهو الماء يدرك بحاسة البصر،
والمشبه به وهو الذهب يدرك أيضاً بحاسة البصر، إذن في التشبيهين عوضنا الشاعر شيئاً
محسوساً بشئ محسوس. وهو أخذ هذا التشبيه من طبيعة المعادن التي نجد أن كل معدن فيها
يمتاز بصفات معينة، وبلون معني، فالشاعر أبدع في هذا التشبيه؛ لأنه استطاع به أن يُعبر
عن كثرة من قتلهم سيف الدولة من الروم، وذلك بأن جعل ماء نهر أرسناس أبيضاً قبل قدومه،
وأصبح مُحمرّاً بعد رجوعه.

ويصور الشاعر شعور قتلى الروم، وهي متعلقة على الأشجار بقوله (٢):

قَد سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ ** فَكَأَنَّ فِيهِ مُسْفَةَ الْغُرْبَانِ (٣)

فقد شبه الشاعر هذه الشعور وهي كثيرة على هذه الأشجار حتى أصبحت سوداء من
كثرتها، شبه ذلك بالغبان التي تدنو من الأرض، وقد حنفت وجه الشبه وهو السواد في كل.
فوجد المشبه (شعر القتلى) شيئاً حسياً يدرك بحاسة البصر، والمشبه به (الغبان) يدرك بحاسة
البصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً بشئ محسوس، وقد أخذ هذه الصورة من
عالم الطيور، التي نجد منها هذه الغربان، وهي سوداء اللون تماماً، فهذه الصورة وضحت لنا
كثرة الرعوس المتطايرة على أشجار الجبل من الروم، من جراء ذلك القتال مع سيف الدولة.

أنظر إلي الشاعر كيف وصف كثرة الدماء التي سالت من الروم قائلاً: (١):

(١) المرجع السابق ٢٦٦.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٨.

(٣) مُسْفَةُ الْغُرْبَانِ : الغربان الدانية من الأرض.

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي * * فكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ

فقد شبه الشاعر دماء الروم وقد سألت على أوراق الأشجار حتى إحمّرت بها، شبهها بالنارنج على الأغصان، وهذا التشبيه نجد فيه سحراً؛ لأنه تضمن الوصف باللون فيقول الجرجاني^(٢): "أعلم أننا مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين، أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما، والثاني أن تجرد حركة الهيئة حتى يراد غيرها"، ونجد المشبه وهو الدم على الأوراق يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو النارنج على الأغصان يدرك بحاسة البصر أيضاً، إذن الشاعر عوضاً محسوساً بمحسوس. وقد أخذ الشاعر صورته هذه من عالم النباتات.

ويرسم لنا الشاعر صورة لدرع ابن شمشق أحد بطارقة الروم المشبه بقوله^(٣):

تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا * * كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمٌ

حيث شبه الشاعر أسنة الرماح حين تقع على الدرع ولا تنفذ من خلالها، شبهها بالقلم الذي يخط على الألواح ولا ينفذها، وأراد بذلك أن درعه متينة قوية لا تستطيع الرماح أن تنفذها، ونجد المشبه الدرع يدرك بحاسة البصر، والمشبه به (الألواح) يدرك بالبصر، فالشاعر إذن عوضاً محسوساً بمحسوس، وقد أخذ التشبيه من الألواح الخشبية التي تمتاز بالمتانة والقوة التي تجعله يقف صامداً أمام كل الضربات التي يتعرض إليها.

(١) المرجع السابق ٢٦٨.

(٢) أسرار البلاغة ١٥٦.

(٣) ديوان المتنبي ٢٧٢.

ج / بليغ:

وهو ما حذفته منه الأداة، ووجه الشبه ونجد ذلك في قول المتنبي^(١):

د / بليغ:

وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، وذلك مثل قول الشاعر^(٢):

أِبَالِ الْعَمَرَاتِ نُوعِدُنَا النَّصَارَى * * وَنَحْنُ نُجُومَهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ

نجد في هذا البيت تشبيهين، فالتشبيه الأول في قوله (نحن نجومها) حيث شبه الشاعر أنفسهم بالنجوم، والتشبيه الثاني في قوله (وهي البروج) خشية الحرب بالبروج، أي أنهم - سيف الدولة وجنوده - لا ينفكون عن الحرب، وجاء بهذا التشبيه لبيان ملازمتهم الحرب دائماً، وأنهم لا يفارقونها، لأن البروج لا تفارق النجوم، وفي هذا إظهار لقوة هؤلاء الجنود وشجاعتهم وبسالتهم؛ لأن الذي يجبن لا يلزم الحرب بل يفارقه خوفاً من الموت، نجد في التشبيه الأول أن المشبه وهو سيف الدولة وجنوده، وهو يدرك بحاسة البصر، والمشبه به هو النجوم وهو يدرك بالبصر أيضاً، إذن الشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وفي التشبيه الثاني نجد المشبه الحرب وهو يدرك بالعقل والمشبه به البروج يدرك بالعقل أيضاً، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة، هذه الطبيعة التي خلقها الله بقدرته، وجعل لكل ش فيها ميزة وصفات معينة، فالنجوم من هذه الطبيعة، وجعل الله لها مساراً معيناً تسير فيه ولا تفارقه أبداً.

ويأتي الشاعر ويرسم صورة لشدة الحرب بين سيف الدولة والروم وتكاثف الغبار الذي أظلم ساحة المعركة قائلاً^(٣):

تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ * * مِنْ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ

شبه الشاعر أسنة الرماح بالنار، بجامع الإضاءة في كلِّ ، وشبه أيضاً القنا بالشمع بجامع خروج الضوء من كلِّ، عندما أظلمت الحرب بالغبار المتكاثف، حتى انعدمت الرؤية

(١) المرجع السابق ١٩٩.

(٢) ديوان المتنبي ١٩٩.

(٣) ديوان المتنبي

الشيء الوحيد الذي كانت تهتدي به الخيل هو لمعان الأسنة، لذلك فقد جعلها الشاعر كالنار التي تضيء الظلام، ولما جعلها ناراً جعل القنا بمثابة الشمع الذي تخرج منه تلك الشعلة النارية، ونجد في التشبيه الأول (تشبيه الأسنة بالنار) فالمشبه هو الأسنة وهو يدرك بالعين، والمشبه به هو النار وهو أيضاً يدرك بالعين، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس. وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة، التي نجد فيها هذا الشمع الذي يضيء للناس في حال عدم وجود الوسائل الأخرى.

وعن تشوق سيف الدولة وجنوده للقتال وللموت في الحرب يقول الشاعر^(١):

قَصَدْنَا لَهُ قَصَدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤَهُ * * * إِيْنَا وَقُلْنَا لِلْسِّيُوفِ هَلْمَنَا

فقد شبه الشاعر قصد سيف الدولة وجنوده للموت في الحرب بقصد الحبيب لقاء من يحب وذلك في قوله (قَصَدْنَا لَهُ قَصَدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤَهُ) فالحبيب يكون في أشد الشوق وفي لهفة للقاء من يحب، فهذا هو حال سيف الدولة وجنوده في لقاء العدو، وفي طلب الموت في القتال، فالشاعر قد توفق في هذه الصورة؛ لأنه من خلالها أبان لنا شجاعة سيف الدولة وجنوده، وأنهم أبناء حرب لا يخافون الموت بل يقصدونه، وأنهم لا يتركون العدو، فإما أن يقتلوه وينتصرون عليه، وإما أن يقتلهم هو فيكونون قد ماتوا كرماء شرفاء، وفي هذه الحالة الموت أفضل لهم من الهرب والجنب من العدو، ونجد المشبه (قصدهم الموت) فهو يدرك بالعقل، والمشبه به (قصد الحبيب لِقَاؤَهُ) فهو يدرك أيضاً بالعقل، فالشاعر في هذه الصورة عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد استنبط الشاعر هذه الصورة من واقع الحياة، ومن إحساس الإنسان بأحاسيس معينة تجاه أشياء معينة، فإحساس الإنسان تجاه من يحبه يجعله في شوقٍ شديدٍ للقائه.

وأنظر إليه كيف يصور قتل الروم على أيدي رجال سيف الدولة بقوله^(٢):

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفْرَاتِهَا * * * وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ

نجد التشبيه في قوله (وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفْرَاتِهَا) فقد شبه وقوع الروم على شفرات سيوف جيش سيف الدولة بوقوع القطا على الماء، فقد كان وقوعهم على هذه السيوف بأعداد كبيرة، فقد

(١) المرجع السابق ٢٠٣.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٢.

عبر عن ذلك بالقطا الذي يقع على الماء بأعداد كبيرة، ويريد من ذلك أن رجال سيف الدولة قتلوا الروم بأعداد كبيرة وأنهم وفدوا على هذه السيوف صفاً بعد صفٍ، فنجد المشبه وهو ورود الروم على شفرات السيوف شئٌ يدرك بالبصر، والمشبه به وهو ورد القطا شئٌ يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا شيئاً محسوساً بشئٍ محسوس، وقد أخذ هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد فيها أن القطا هذا يقع على الماء بأعداد كبيرة.

وهاهو يرسم لنا صورة لتلك الخيول التي غزا بها سيف الدولة الروم قائلاً^(١):

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الجِيَادِ إِلَى العِدَا ** وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ

التشبيه في قوله (السَّهَامَ خِيُولُ) فقد شبه الشاعر هذه الخيل بالسهم في سرعتها، فقد أبان هذا التشبيه سرعة هذه الخيل التي تحمل رجال سيف الدولة، فهي سريعة كسرعة السهام، وقد أخرج لنا هذا التشبيه الشئ الغامض وأوضحه وضوحاً تاماً، وهذا النوع وصفه ابن رشيق بأنه تشبيه حسن بقوله^(٢): "واعلم أن التشبيه على ضربين: تشبيه حسن وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلي الأوضح فيفيد بياناً، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك".

المشبه في هذا التشبيه هو الخيل فهو يدرك بحاسة البصر، المشبه به هو السهام وهو يدرك بحاسة البصر أيضاً، وعلى هذا فيكون الشاعر قد عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ الشاعر هذا التشبيه من أرض المعركة التي نجد فيها هذه السهام السريعة جداً ووصولها إلي الهدف في وقت وجيز.

ويصور لنا الشاعر وقع سهام سيف الدولة على ابن شمشق قائلاً^(٣):

تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الفُرْسَانِ سَابِغَةً ** صَوَّبُ الأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمُ

شبه الشاعر وقع الأسنة على درع ابن شمشق - أحد بطارقة الروم - شبهها بوقع المطر على الأرض، وذلك في الكثرة، فرماح فرسان الروم كانت تقع على درع ابن شمشق متتالية ومتواصلة، كأنها المطر عندما يقع على الأرض، ومثل هذه التشبيهات التي ترى بالعين

(١) المرجع السابق ٢٢٧.

(٢) العمدة ٢٨٧/١

(٣) ديوان المتنبي ٢٧٢.

أوضح في الجملة كما ذكرنا سابقاً، وقد بيّن ابن رشيّق الأوضح في الجمل فقال^(١): (أن ما تقع عليه الحاسة أضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أضح من الغائب، وما يدركه الإنسان من نفسه أضح مما يعرفه من غيره، والقريب أضح من البعيد في الجملة لأنه مشاهد بالعين) فالمشبه في هذا التشبيه وهو وقع الأسنان على الدرع وهو شئ يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو وقع المطر على الأرض فهو أيضاً يدرك بحاسة البصر، فيكون الشاعر قد عوضنا شيئاً محسوساً بشئٍ محسوس، إذن هذا التشبيه أضح من الغائب لأنه مشاهد بالعين، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة التي نجد فيها المطر الذي يصب على الأرض بكميات كبيرة.

وعن أهمية وجود سيف الدولة في حلب يقول الشاعر^(٢):

وظنّهم أنّك المصباحُ في حلبٍ * * إذا قصّدتَ سِواها عَادَها الظلمُ

نجد التشبيه في قوله (أَنَّكَ المِصْبَاحُ) والكاف في أنك تعود لسيف الدولة، فشبه الشاعر سيف الدولة بالمصباح؛ لأنه ينفي الفتنة عن حلب، كما ينفي المصباح ظلمة الليل، فجعل الفتنة ظلاماً، وجعل الشاعر نفي سيف الدولة لهذه الفتنة نفياً لهذا الظلام، ودل على أهمية وجوده باستدامة النور في حلب، وظلامها عند رحيله عنها، وكثيراً ما يشبه المتنبي ممدوحه بالمصباح، ويشبّهه بالشمس أحياناً، وفي أخرى يشبّهه بالبدر، وكلها تدل على بث النور والضوء، فهي دليل على عدم وجود أي شئٍ مُضئٍ معهما، في حال ظهور أي منهما، وهذا حال الممدوح في كونه موجوداً بالنسبة للملوك الأخرى، ودليل على الكرم الفياض الذي يغطي كل أرجاء البلاد، وكثير من الدلالات الأخرى، فالمشبه هنا سيف الدولة وهو يدرك بالبصر، والمشبه به المصباح أيضاً يدرك بالبصر، وبهذا يكون الشاعر قد عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذ هذا التشبيه من الطبيعة، التي نجد فيها أن المصباح الذي صنع من أجل إزالة الظلام، فقد أبدع المتنبي في هذا التشبيه؛ لأنه جعل سيف الدولة هو الوحيد الذي يزيل الفتنة عن حلب، ودلّ على ذلك بأنه إذا ترك حلب وذهب إلى بلد آخر عاد الظلام إلى حلب.

(١) العمدة ٢٨٧/١.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٩.

النوع الآخر من أقسام التشبيه هو مؤكد مفصل وهو ما ذكرت فيه الأداة، فلم نجد لهذا النوع أمثلة في قصائد الوصف هذه.

٢/ التشبيه باعتبار وجه الشبه:

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين:
تشبيه تمثيل وتشبيه غير تمثيل، وسنتناول هنا تشبيه التمثيل.

تشبيه التمثيل:

وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد: وفي هذا يقول الشاعر^(١):
مَضَى بَعْدَمَا التَّفَّ الرَّمَّاحَانِ سَاعَةً ** كَمَا يَتَلَقَّى الْهَدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَدْبَا

حيث شبه الشاعر التفاف الرماح وشدة اشتباكها، شبهها باشتباك الأجناف عند النوم، والصورة المنتزعة هي: اشتباك شيئين اشتباكاً شديداً، فقد رسم لنا الشاعر صورة لهذا الاشتباك العنيف بين سيف الدولة والروم، الذي تداخلت فيه الرماح واشتبكت أشد الاشتباك، وقد وضحت لنا الصورة عظم الموقف، وشدة القتال، فالمشبه في هذا التشبيه هو تداخل الرماح مع بعضها، وهو يدرك بالبصر، والمشبه به هو التقاء واشتباك أهداب الإنسان عند النوم وهو يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد أخذت الصورة من واقع حياة الإنسان اليومية، التي نجد هذا النوم جزءاً منها.

قتل سيف الدولة الروم بأعداد كبيرة، يقول المتنبي في ذلك^(٢):

نَثَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةً ** كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

شبه الشاعر تساقط الروم قتلى فوق الأحيب على يد سيف الدولة، شبه ذلك بالدراهم التي تنثر فوق العروس، والصورة المنتزعة هي شئ ثابت تنثر فوقه أشياء كثيرة، فهذه الصورة وضحت لنا أن سيف الدولة قتل الروم بأعداد كبيرة، ومن الملاحظ قد استخدم صوراً مختلفة ومتعددة لرسم مقتل الروم على يد سيف الدولة ذكرنا منها بعضاً وسيأتي الآخر في موضعه، وكلها على نهاية من الروعة، ونجد المشبه في هذا التشبيه وهو سقوط الروم قتلى على يد سيف

(١) ديوان المتنبي ٢١٠.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٧.

الدولة، وهو أمر يدرك بحاسة البصر، والمشبه به هو نثر الدراهم فوق العروس وهو يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا محسوساً بمحسوس وأخذ هذه الصورة من واقع الحياة التي نجد عادة نثر الدراهم على العروس واحدة منها.

وعن إحاطة خيل سيف الدولة بحصون الروم يقول الشاعر^(١):

وُضِحِي الحُصُونُ المُشْمَخِرَاتُ فِي الذُّرَى * * وَخَيْلِكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ

أحاطت خيل سيف الدولة بحصون الروم العالية في أعلى الجبال إحاطة تامة، شبه الشاعر هذه الصورة بالقلائد التي تحيط بالأعناق، والصورة المنتزعة هي شئ ثابت تحيط به أشياء أصغر منه حجماً من كل جانب، وفي هذا دليل على قوة هذه الخيل التي صعدت الجبال العالية، وفيه أيضاً إصرار على ملاحقة سيف الدولة للروم في كل مكان، ونجد المشبه وهو إحاطة خيل سيف الدولة بالحصون وهو يدرك بحاسة البصر، والمشبه به وهو إحاطة القلائد بالأعناق يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، وقد جاء الشاعر بهذه الصورة من حياة المرأة التي تتزين بالعقد بوضعه على عنقها. فالمتنبي استفاد من بيئته ومن الطبيعة حوله، ومن العادات والتقاليد التي يعيشها الناس آنذاك، ومن واقع الحياة اليومية، فاستفاد المتنبي من كل هذه الأشياء وأخذ منها هذه الصورة، حتى أصبحت واضحة جلية للقارئ.

ويقول الشاعر في موضع آخر^(٢):

تَجَفَّلُ المَوْجُ عَن لَبَّاتِ خَيْلِهِمْ * * كَمَا تَجَفَّلُ تَحْتَ العَّارَةِ النَّعْمُ

شبه الشاعر ابتعاد الموج مسرعاً عند قدوم هذه الخيل عليه، شبه ذلك بسرعة هروب المواشي عند الإغارة عليها، والصورة المنتزعة هي شئ يبتعد مسرعاً في خوفٍ عند الإغارة عليه، والصورة أوضحت سرعة جري هذه الخيل.

(١) المرجع السابق ٢٠٥.

(٢) المرجع السابق ٢٧٠.

المبحث الثاني الاستعارة:

هي من الصور التي استخدمها المتنبي كثيراً في قصائده لوصف معارك سيف الدولة مع الروم؛ لأنها توضح الغامض ، وتقرب البعيد كما ذكر ذلك ابن رشيق بقوله^(١): (التشبيه والاستعارة يخرجان الأغمض إلي الأوضح، ويقربان البعيد) ويقول في موضع آخر^(٢): (الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا أوقعت موقعها وأنزلت موضعها) ويقول العلوي^(٣): (أعلم أن الاستعارة من أشرف ما يعد في القواعد المجازية وأرسخها عرفاً فيه).

تعريف الاستعارة:

يعرف أبو هلال العسكري الاستعارة بقوله^(٤): (الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلي غيره لغرض).

وذكر الجرجاني قوله^(٥): (الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية).

١ / الاستعارة التصريحية:

وهي تشبيه حذف منه المشبه وحل محله المشبه به. ومن أمثلتها قول المتنبي^(٦):

وفينا السيفَ حَمَلْتُهُ صَدُوقٌ * * إذا لاقَى وَغَارَتْهُ لَجُوجُ

لاستعارة في قوله (وفينا السيف) حيث استعار السيف لسيف الدولة: فيكون المستعار هو السيف، والمستعار له هو سيف الدولة، فالمستعار هنا نستطيع أن نشاهده، فهو إذن أمر حسي ، والمستعار له أيضاً ندركه بأعيننا ونراه فهو أيضاً أمر حسي، فالشاعر إذن استعار لنا

(١) العمدة لابن رشيق ٢٨٧/١

(٢) المرجع السابق ٢٧٨/١

(٣) الطراز للعلوي ٣٣٤/٣

(٤) الصناعتين ٢٩٥

(٥) أسرار البلاغة

(٦) ديوان المتنبي ١٩٩

محسوساً بمحسوس، والجامع بينهما هو الصرامة وهي أمر عقلي، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من أرض المعركة، التي يوجد فيها كثير من معدات القتال: ولكنه أختار السيف من بين جميع هذه المعدات لتمييزه عنها بشدة وسرعة فصلها من توجه نحوه ونستطيع أن نقول أن الشاعر وفق في هذه الاستعارة؛ لأنها أدت الغرض الذي ضربت من أجله وهو المبالغة في وصف سيف الدولة بالصرامة وسرعة قتله للعدو، وذكر ابن رشيق قول ابن جني في غرض الاستعارة بقوله^(١): (الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة وإلا فهي حقيقة).

وعن وصف جيش سيف الدولة بالقوة والشجاعة والإقدام يقول الشاعر^(٢):

هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعَدَتْ * * * أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ

نجد في قوله (صَعَدَتْ أُسْدٌ) استعارة تصريحية، فاستعار الأسد للجيش، فالمستعار (أسد) يُدرك بحاسة البصر، والمستعار له (الجيش) يدرك أيضاً بحاسة البصر، فالشاعر استعان لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الشجاعة، وأخذ الشاعر هذه الاستعارة من عالم الحيوان، الذي نجد فيه كثير من الحيوانات المختلفة الأحجام والأشكال، ولكن الأسد معروف أنه يتميز بشجاعته وقوته على جميع حيوانات الغابة، بالرغم من وجود حيوانات أخرى أكبر منه حجماً مثل الفيل والزرافة وغيرهما، فأصبح الأسد سيِّدُ الغابة وهو الأمر والناهي، وهو المتحكم في الغابة، وهذا ينطبق على جيش سيف الدولة بالنسبة للجيوش الأخرى، لذلك وجد الشاعر أن الأسد خير ما يستعيره لهذا الجيش، وأيضاً نجد بقية الشعراء يستعيرون الأسد للشجاعة، ونستطيع القول بأن الشاعر قد توفّق في هذه الاستعارة؛ لأنه استطاع أن يبالغ في وصف جيش سيف الدولة بالشجاعة والقوة.

يصف الشاعر ممدوحه بقوله^(٣):

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى * * * إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

الاستعارة هنا في قوله (إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي) هنا استعارتان، حيث استعار للمدوح في الأولى البحر، وفي الثانية البدر، فالمستعار في الأولى البحر وهو أمر يشاهد

(١) العمدة ٢٧٠/١

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق ٢٠٦.

بالعين، والمستعار له وهو الممدوح يدرك بالعين أيضاً، والمستعار في الثانية هو البدر وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له وهو الممدوح يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر إذن أستعار لنا في الاستعارتين محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما في الأولى - استعارة البحر للممدوح - أمر عقلي وهو الانتفاع من كل، فالبحر معروف بفوائده الجمّة لنا، فمنه نشرب ماءً نقياً عذباً، ومنه نستخرج اللحوم البيضاء التي تعتبر غذاءً شهياً لنا، وعبره نساfer، وهذه الفوائد لا تتقطع ما دام هو موجود، فهذا هو حال الممدوح، فتستطيع أن تنتفع منه بكثير من الفوائد، مل الكرم والسماحة، وتجاربه في الحياة وعلمه وغيرها من الصفات، وفي الاستعارة الثانية نجد الجامع بين المستعار والمستعار له أمر عقلي أيضاً، وهو الرفعة والعلو والانتفاع منه، فالبدر في علو ورفعة من الأرض لأنه يوجد في السماء، وهو أيضاً يضيئ الأرض بنوره، فهذا هو حال الممدوح في الرفعة والعلو عن بقية الملوك والناس، وهو أيضاً يزيل ظلمة الفتن وغيرها. ويقهر العدو الذي يهجم عليهم، وقد أخذ الشاعر هاتين الاستعارتين من الطبيعة التي نجد فيها البحر والبدر وغيرهما.

ويستخدم الشاعر الاستعارة في وصف جيش سيف الدولة وهم ينصبون على الروم ضرباً وقتلاً قائلاً^(١):

سَحَابٌ يَمْطُرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ ** وَكُلَّ مَكَانٍ بِالدِّمَاءِ غَسِيلٌ

هنا استعارة في قوله (سَحَابٌ) فاستعار السحب للخيل، فالمستعار هو السحب وهو مما يدرك بالعين المجردة، والمستعار له هو الخيل وهو يدرك أيضاً بالعين، فالشاعر أستعار لنا محسوساً لمحسوس، ولما استعار لنا السحب للخيل جعل مطرها الحديد الذي ينصب منها، والجامع بينهما أمر عقلي وهو النزول بشدة، فالشاعر وجد السحب شيئاً مناسباً لاستعارتها للخيل؛ وذلك لأنها تنهال علينا بالأمطار الغزيرة التي تلتحق بنا الأضرار، وهذا ما ينطبق على هذه الخيل التي يُطلق فرسانها بالرماح ويضربون بالسيوف، وتلتحق الضرر بالعدو، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من الطبيعة، فالسحب من هذه الطبيعة التي خلقها الله بقدرته وحكمته. ويصف الشاعر مقتل الروم على سيد سيف الدولة قائلاً^(٢):

(١) ديوان المتنبي ٢٢٧.

(٢) ديوان المتنبي ٢٧٠.

فما تَرَكْنَ بِهَا حُلْدًا لَهُ بَصْرٌ ** تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ^(١)
وَلَا هِزْبَرًا لَهُ مِنْ دَرِعِهِ لِبَدٌ ** وَلَا مَهَاءً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَسْمٌ

في هذين البيتين مجموعة من الاستعارات، فنجد في البيت الأول قوله (فما تَرَكْنَ بِهَا حُلْدًا) فاستعار الشاعر الخلد للشيخ، فالمستعار هو الخلد وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له الشيخ يدرك بالبصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو التخفي، فالشاعر شبه الشيوخ الذين تواروا اختفوا في المغارة بالخلد في اختفائه ولكن يخالفه في نظره وقوله (وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ) فاستعار الباز للشباب، فالمستعار هو الباز وهو يدرك بالعين، والمستعار له هو الشابين وهو يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو التحصن في أعالي الجبال. وفي البيت الثاني نجد قوله (وَلَا هِزْبَرًا) فاستعار الهزير للجندي الشجاع من الروم، فالمستعار هو الهزير وهو نستطيع أن نراه ونشاهده، والمستعار له الجندي نستطيع أيضاً أن نراه ونشاهده، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو لشجاعة، ونجد أيضاً قوله (وَلَا مَهَاءً) فاستعار المهاة للمرأة الجميلة، فالمستعار هو المهاة وهو يدرك بحاسة البصر، والمستعار له وهو المرأة يدرك بحاسة البصر أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الجمال، وقد استطاع الشاعر أن يستفيد من عالم الحيوانات، ويأخذ منه هذه الاستعارات الأربع، فعالم الحيوان مختلف الصفات والأشكال، فاختر الشاعر كل استعارة واحد من هذه الحيوانات التي تناسبها سواء في الشكل أو في الخصال أو في غيرها.

(١) الخلد : فأرة عمياء. الباز : طائر يوجد في أعالي الجبال.

٢ / الاستعارة المكنية:

هي تشبيه حُذِفَ منه المشبه به، ورُمز له بشئ من لوازمه، ومن ذلك قول المتنبي^(١):

تَعْدُو الْمَآيَا فَلَا تَنْفَكُ وَأَقِفَةٌ ** حَتَّى يَقُولُ لَهَا عُوْدِي فَتَنْدَفِعُ

الاستعارة في قوله (تَعْدُو الْمَآيَا) والغدو هو المجرية وهو أمر عقلي، فاستعار الغدو للموت، والموت أمر عقلي لأنه لا يدرك بالحاسة، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمعقول، والجامع بينهما أمر عقلي وهو المجيء، فالشاعر في هذه الاستعارة استطاع أن يجسد الموت في شكل إنسان، ويجعله يغدو ويقف ويندفع بأمر الممدوح، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من واقع الحياة، التي فيها الأمر والنهي والغدر والرواح.

ويقول أيضاً^(٢):

الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ** وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ

في البيت استعارتان الأولى في قوله (الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ) فالاعتذار يكون للإنسان وهو أمر محسوس، والدهر المقصود به الناس في ذلك هو عبارة عن الزمن وهو أمر محسوس أيضاً، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمحسوس، والاستعارة الثانية وهي قوله (وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ) فالانتظار يكون للإنسان وهو أمر عقلي، والسيف وهو يدرك بالبصر فهو محسوس، فالشاعر استعار لنا أمراً معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما أمر عقلي وهو الانتظار، وقد أخذ الشاعر الاستعارتين من واقع حياة الإنسان.

ويصف لنا الخلافة في البيت بقوله^(٣):

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلُّهَا ** وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ

الاستعارة هنا في قوله (أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ) فالأنياب هي أسنان الحيوان الأمامية التي يفترس بها وهي محسوسة، فاستعار الأنياب للخلافة، وهي أمر يدرك بالعقل، فالشاعر استعار لنا محسوساً لعقلي، والجامع بينهما أمر عقلي وهو التمكن في كلِّ، والشاعر هنا جسّد لنا الخلافة

(١) ديوان المتنبي ٢٠٢.

(٢) ديوان المتنبي. ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق ٢٠٦.

في هيئة حيوان مفترس، ثم جعل أنياب هذه الخلافة هم سيف الدولة وأجداده، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من عالم الحيوان، الذي نجد فيه القوي والضعيف، والكبير والصغير، والمفترس والوديع.

ويقول أيضاً^(١):

وَأَنَّ دَمًا أَجْرِيَّتُهُ بِكَ فَاخِرٌ ** وَأَنَّ فُوَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدٌ

نجد الاستعارة في قوله (وَأَنَّ دَمًا أَجْرِيَّتُهُ بِكَ فَاخِرٌ) فالفخر هو الاعتزاز بالشئ وهو أمر معقول، والدم وهو أمر محسوس، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما هو الاعتزاز الشديد، وهو أمر عقلي، والشاعر جسّد لنا الدم في صورة شخص، بأن جعله يفخر ويعتز، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان، وهنا أيضاً توجد استعارة أخرى في قوله (وَأَنَّ فُوَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدٌ) فالحمد وهو الشكر وهو أمر معقول، فاستعار الحمد للفؤاد وهو أمر محسوس، فالشاعر قد استعار لنا معقولاً لمحسوس، وأخذ الاستعارة من واقع حياة الإنسان. ويصف لنا الحصون التي كان ها الروم فيقول:^(٢)

تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمُّ طُولَ نِزَالِنَا ** فَتُلْقِي إِلَيْنَا بِأَهْلِهَا وَتَزُولُ

هنا في قول الشاعر (تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمُّ طُولَ نِزَالِنَا) استعارة، والمثل وهو أمر معقول، فاستعارة للحصون وهي أمر محسوس، فالشاعر استعار لنا معقولاً لمحسوس، والجامع بينهما هو الخروج عن حد الزهق وهو أمر عقلي، والشاعر جسّد لنا الحصون في صورة إنسان يمل هذا القتال، ولما جعلها تمل ذلك القتال جعلها تلقي أهلها وتزول عن مكانها، وقد استنبط الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان.

وأنظر إليه يرسم لنا صورة للمنايا بقوله^(٣):

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا ** وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمٌ

الاستعارة في قوله (مَوْجُ الْمَنَايَا) الموج هو تلاطم المياه مع بعضها البعض، فاستعار الموج وهو أمر محسوس، للمنايا وهي أمر معقول، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمعقول،

(١) ديوان المتنبي ٢٠٦.

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٦.

(٣) المرجع السابق ٢٤٥.

والجامع بينهما هو الزيادة الشديدة في الشيء وهو أمر عقلي، فقد استطاع الشاعر أن يجسد الموت في صورة حياة ، وزاد على ذلك بأن جعل للموت أمواج، دليل على كثرتة، فقد وفق الشاعر في هذه الاستعارة؛ لأنه وصل بالاستعارة إلي الغرض المطلوب وهو إثبات صفات الموج للموت، وفي ذلك يتحدث العلوي عن الغرض من استعارة المحسوس المعقول بقوله^(١): (والغرض من هذا إثبات الصفات المحسوسة للأمور المعقولة على جهة الاستعارة)، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من الطبيعة، لأن الماء من الطبيعة.

ويصف المتنبي وقوف سيف الدولة في المعركة قائلاً: ^(٢):

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شُكٌّ لِيُؤَاقِفِ * كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

نجد الاستعارة في هذا البيت في قوله (كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ) والجفن هو المنطقة السفلى من العين وهو شيء محسوس، فاستعارة للردى وهو أمر معقول، فالشاعر استعار لنا محسوساً لمعقول، والجامع بينهما هو الوجود عن قرب، فالشاعر جسّد لنا الموت وجعل له جفن، أي أن سيف الدولة قريب من الموت ولكن عبر عن نجاته منه، بأن جعل الردى ينوم عنه، أي أن الموت غافل عنه. وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من واقع حياة الإنسان، فالشاعر أبدع في هذه الاستعارة؛ لأنه أوضح لنا شيئاً كان غامضاً عنّا وبين أن سيف الدولة لم يصيبه الموت بالرغم من وجوده في منطقة القتال والخطر، ودلّ بهذا على شجاعته وقوته ومنعته. ويقول أيضاً^(٣):

ضَمَمْتُ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً * تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ

نجد في هذا البيت عدة استعارات، فاستعار الجناحين وهو شيء محسوس لميمنة وميسرة العسكر وهو أمر محسوس أيضاً، وهو استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما الضم في كل، واستعار أيضاً القلب وهو به وهو محسوس فاستعارة للملك وهو محسوس أيضاً، وهذه استعارة محسوس لمحسوس أيضاً، والجامع بينهما هو التوسط، واستعار القوام وهي الريش الذي

(١) الطراز العلوي ٣/٣٣٧.

(٢) ديوان المتنبي ٢٤٦.

(٣) المرجع السابق ٢٤٧.

يوجد في مقدمة الجناح وهو أمر محسوس استعارها للأبطال وهو أمر محسوس أيضاً، وهذه استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما التقدم أماماً، والخوافي هي ما خفي من ريش الجناح وهي أمر محسوس، فاستعارها للإتباع من الجنود وهو أمر محسوس، وهذه استعارة محسوس لمحسوس، والجامع بينهما في الخفاء وعدم الظهور.

فالشاعر أخذ كل هذه الاستعارات الرائعة عند المتنبّي، لأن فيها مبالغة في وصف ما فعله سيف الدولة بالروم، ورسمت لنا صورة وضحت ما حدث للروم، ووصف ابن رئيس هذه الاستعارات بقوله^(١): (هذا تصنيع بديع كله حسن الاستعارات).

وهاهو يجعل من الاستعارة صورة لكثرة سفك سيف الدولة لدماء الروم قائلاً^(٢):

أَلْقَتِ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا ** فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ

الاستعارة في قوله (أَلْقَتِ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا) فقد استعار الطاعة وهي أمر معقول استعارها للدماء وهي أمر محسوس، وهذه استعارة معقول لمحسوس، والجامع بينهما هو الانصياع والانقياد وهو أمر معقول، فقد حشد الشاعر الدم في صورة إنسان وجعله يطيع الأوامر، ويجيب الدعوة، وهذه من فوائد الاستعارة بأنها تجسد لنا الشئ وتجعله يتحرك ويتكلم ويذهب ويأتي وغيرها من الصفات التي لم تكن به، ووصل بهذه الاستعارة إلي تعريف القارئ بقتل سيف الدولة للروم، والدرجة التي وصل إليها هذا القتل؛ ونستطيع أن نقول لما ذكرناه أن الشاعر قد توفّق في هذه الاستعارة، وقد أخذ هذه الاستعارة من حياة الإنسان التي يعيشها.

وأنظر إليه كيف صور لنا هم سيف الدولة فيقول^(٣):

لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمَلُهُ ** تَحْمَلْتَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمَمُ

حيث نجد استعارة في قوله (تَحْمَلْتَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ الْهَمَمُ) تحملته وجاءت من الحمل وهو الجسم على أي شئ بغرض نقله من مكان إلي آخر، فاستعار الحمل وهو أمر محسوس، فاستعاره للهم تلك الصفات الجميلة التي تدفع بالإنسان إلي تحقيق أهدافه، وهذه الصفات مثل

(١) العمدة ٢٧٧/١.

(٢) ديوان المتنبّي ٢٧٢.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩.

الشجاعة والرجولة والصمود وغيرها، وهي أمر معقول، وهذه استعارة محسوس لمعقول، والجامع بينهما هو الوصول بواسطتهما إلي الهدف المقصود، واستطاع الشاعر أن يجسد هذه الهمم في صورة حيوان، جعلها تقوم بجمله إلي هؤلاء الأعداء ولأن همم سيف الدولة عالية، وعزائمه قوية، وإيمانه بالقضية راسخ، فهذه الهمم حملته إلي عدوه، وذلك عندما عجزت الخيل عن حمله، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الأبطال والقواد الشجعان.

وهاهو يصف مدينة الحدث بالاحمرار بقوله^(١):

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا * وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِينِ الْعَمَائِمُ

أنظر إلي الاستعارة في قوله (هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا) فاستعار المعرفة وهي تدرك بالعقل، فاستعارها لمدينة الحدث التي تدرك بحاسة البصر، وهذه استعارة معقول لمحسوس، والجامع بينهما هو العلم بالشيء وهو أمر معقول، وهنا تجسيد لمدينة الحدث في إنسان، لأن المعرفة تدرك إما بالحواس أو بالعقل، وهذه كلها تخص الإنسان، ثم بعد ذلك تساءل إذا كانت هذه الحدث تعرف لونها أم لا؟، وقد أخذ الشاعر هذه الاستعارة من حياة الإنسان.

(١) ديوان المتنبي ٢٤٥

المبحث الثالث : الكناية:

الكناية عند الجرجاني^(١): "المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلي معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء إليه دليلاً عليه"

فالكناية إذاً هي أن تطلق كلاماً تريد به لازم معناه.

ونتناول الكناية في شعر المتنبي في وصف عند معارك سيف الدولة مع الروم، وتنقسم الكناية باعتبار المكنى والمكنى عنه إلي ثلاثة أقسام هي: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة.

١/ الكناية عن الصفة:

وقد كنى المتنبي عن كثير من الصفات منها: الشجاعة، الكرم، الخوف، كثرة القتلى، الهزيمة، وصفات أخرى سنذكرها في موضعها.

أ/ الشجاعة:

هي أهم صفة لأن الذي يتصف بها يحقق هدفه وينتصر على عدوه، لذلك بدأنا بها، ويقول المتنبي^(٢):

ويا أَجْبَنَ الْفُرْسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيٌّ * * ويا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفْرَقِ

نجد أن الشاعر كنى عن صفة الشجاعة بقوله (ويا أَجْبَنَ الْفُرْسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيٌّ) خاطب الشاعر الفارس الجبان فطلب منه أن يصاحب سيف الدولة (فالضمير الهاء في صاحبه يعود إلي سيف الدولة) لأنه إذا صاحبه سوف يصبح شجاعاً، وإذا لم يكن سيف الدولة شجاعاً لم تكن مصاحبته تكسب الشجاعة، فالشطر الأول كناية عن صفة الشجاعة، ونجد أن المكنى هو المصاحبة وهو أمر عقلي، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أيضاً أمر عقلي، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، ونجد في قوله (ويا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفْرَقِ) فقد جعل الشاعر مفارقة الفارس الشجاع لسيف الدولة تكسبه الجبن والخوف، وهذا دليل على شجاعة سيف الدولة، فهذه إذن

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٥٤.

(٢) ديوان المتنبي ٢٢٢.

كناية عن الشجاعة أيضاً، والمكنى هنا هو مفارقة الشجاع لسيف الدولة، وهو أمر عقلي، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر عقلي أيضاً. إذن هذه الصورة عوضتنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هاتين الصورتين من أرض المعركة.

أنظر كيف كنى عن الشجاعة في قوله^(١):

وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ** فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا

الكناية هنا في قوله (فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا) يعني ذلك أن هذه الشمس برغم بعدها لو كانت ماءً لأورد سيف الدولة منها وذلك أنه يصل إلي مرامه مهما بعد ومهما كان ذلك صعباً وهذا يدل على شجاعته، إذن فهذه كناية عن الشجاعة، والمكنى هو قوله (لَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا) فهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول، فالصورة نقلتنا من عالم المحسوس إلي عالم المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الصورة من الطبيعة. ويقول في موضع آخر^(٢):

وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمَرَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ** وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامٌ

نجد الكناية في قوله (وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمَرَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ) يخاطب الشاعر سيف الدولة، وذكر بأنه ما زال يكسر هذه الرماح بالطعن وجعل تكسر هذه الرماح إفناءً لجيش العدو، فكثرة كسره للرمح دليل على كثرة الطعن، وكثرة الطعن دليل على الشجاعة، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هنا هو كثر إفناء سيف الدولة للرمح وهذا أمر حسي، لأننا نراه بأعيننا، والمكنى عنه وهو الشجاعة أمر عقلي لأننا لا ندركه بالحواس بل ندركه بالعقل، فالكناية قد نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

ترك العدو الشام لسيف الدولة، وفي ذلك يقول^(٣):

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً ** وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا

(١) ديوان المتنبّي ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢٥٠.

(٣) المرجع السابق ٢١٠.

البيت كله كناية، ونجد في صدر البيت قوله (وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً) أي أن الروم كانوا يحملون الرماح في المعركة يريدون قتاله ولكنهم سرعان ما تفرقوا عنه، ولم يكن تفرقهم عه رحمة له، ولكنهم وجدوه قوياً شجاعاً لا يخاف الموت، لذلك تفرقوا عنه، إذن هذا الشطر كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هو تفرق العدو عن سيف الدولة وهو أمر محسوس، لأن التفرق هو الهروب، والهروب يدرك بحاسة البصر، والمكنى عه هو الشجاعة وهو أمر معقول، بتلك الكناية تكون قد نقلتنا من المحسوس إلي المعقول. وفي عجز البيت قوله (وَلَمْ تَتْرُكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا) فالعدو قد ترك الشام لسيف الدولة، ولم يكن ذلك حباً له، ولكن كان ذلك بسبب ضرب سيف الدولة لهم، وقتاله لهم، وذلك دليل على شجاعته، وهذا أيضاً كناية عن الشجاعة، والمكنى هو ترك العدو للشام، وذلك برحيلهم عن الشام، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه وهو الشجاعة أمر معقول، فالكناية إذن نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هاتين الكنائتين من واقع حياة الروم، فالبيت كله إذن كناية عن صفة الشجاعة.

عن قتل سيف الدولة للروم يقول الشاعر (١):

وَيَرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا * * يَبْكِي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ

الكناية في قوله (وَيَرْجِعُهَا حُمْرًا) الضمير "ها" في يرجعها يعود إلي الرماح ، إن سيف الدولة يرجع رماحه من الغارات وقد أحمرت بالدم، فاحمرارها هذا دليل على كثرة الدم المسفوك عليها، وكثرة الدم المسفوك دليل على كثرة القتلى من الروم، وكثرة القتلى من الروم دليل على مواجهته لهم، ومواجهته لهم دليل على شجاعته، فهذه إذن كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى هو إرجاع الرماح حمراء اللون وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول، فالكناية إذن نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

ويعبر الشاعر عن شجاعة سيف الدولة بطريقة مختلفة فيقول (٢):

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدُ * * وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا التَّوَاكِلُ

(١) ديوان المتنبي ٢٢١.

(٢) المرجع السابق ٢٤٠.

حيث نجد الكناية في قوله (وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ) فإن النجوم إذا حاربت سيف الدولة لقتلها، فنواح الثواكل على النجوم دليل على موتها، وموتها بيد سيف الدولة دليل على شجاعته، فهذه كناية عن الشجاعة، والمكنى هو نواح الثواكل محسوس؛ لأنه يدرك بحاسة السمع، والمكنى عنه وهو الشجاعة وهو معقول، إذن هو نقلنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الكناية من الطبيعة، وقد وفق الشاعر في هذه الصورة؛ لأنه دل على شجاعة سيف الدولة بقتله كل من يحاربه، ولكن الأجل بأن اختار النجوم من بين جميع الأشياء الأخرى، وذلك لأنها خالدة بخلود الدنيا، وذكر أنها برغم خلودها هذا لو حاربتنا لناها فيها الثواكل، وهذا أدل على الشجاعة، وأعلى درجة فيها.

ويجمع المتنبى بين صفتين لسيف الدولة في بيت واحد وذلك في قوله^(١):

فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ * * وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدَحٌ

الصفة الأولى نجدها في قوله (فَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ) فالضمير في (فَأَوْحَدْتُهُ) يعود إلي سيف الدولة، عندما ترك الخيل سيف الدولة وحيداً لم يقلق، فعدم خوفه وهو وحيد دليل على شجاعته، إذن هذه كناية عن صفة الشجاعة، والصفة الثانية في قوله (وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَدَحٌ) وكذلك لما أغضبته الخيل، بتقاعد فرسانها عنه، لم يتلفظ بالفحش، فعدم تلفظه بالفحش عند غضبه دليل على حملة، وهذه كناية عن الحلم، فالمكنى في الكناية الأولى هو عدم القلق والخوف عند الوحدة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول أيضاً فالكناية الأولى إذن نقلنا من معقول إلي معقول، والمكنى في الكناية الثانية وهو عدم التلفظ بالفحش عند الغضب وهو أمر معقول، والمكنى عنه وهو الحلم أمر معقول أيضاً، فإذن هذه الكناية نقلتنا من معقول إلي معقول، وقد اخذ الشاعر هاتين الكنائيتين من واقع حياة الممدوح، فالصفات اللتان جمع بينهما الشاعر هما الشجاعة والحلم.

ونجده أيضاً يجمع بين صفتين مختلفتين في بيت واحد في قوله^(٢):

ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ * * لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمَشَقِّ^(٣)

(١) المرجع السابق ٢٠٠.

(٢) ديوان المتنبى ٢٢١.

(٣) المشقق: التصرف في المعاني.

الكناية الأولى في قوله (ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَائُهُ) فالذي يضرب بطرف السيف يكون متدرباً عليه مجرباً له، ومداوماً بالضرب به، وهذا يدل على شجاعته، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، والمكنى فيها هو الضرب بطرف السيف وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول، إذن الكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول. والكناية الثانية في قوله (تُعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقِّ) أي أن الذي يلعب بأطراف الكلام ويتصرف في معانيه فهو فصيح، فهذه إذن كناية عن صفة الفصاحة، والمكنى فيها هو اللعب بالكلام والتصرف في معانيه، وهذا يكون مسموعاً فهو إذن محسوس، والمكنى عنه هو الفصاحة وهو أمر معقول لا يدرك بالحواس، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، والصفتان اللتان جمع بينهما الشاعر هما الشجاعة والفصاحة.

ب/ الكرم:

كثيراً ما ربط المتنبي بين صفة الشجاعة وصفة الكرم، وذلك لأن الكرم صفة كثيراً ما تلازم صفة الشجاعة، فأغلبية الشجعان هم كرماء.

فجده يجمع بين هاتين الصفتين في هذا البيت الذي يقول فيه^(١):

فِيَا أَيُّهَا الْمُطْلُوبُ جَاوِرُهُ تَمْتَنِعُ ** وَيَا أَيُّهَا مَحْرُومُ يَمِّمُهُ تُرْزُقُ

الكناية الأولى في قوله (فِيَا أَيُّهَا الْمُطْلُوبُ جَاوِرُهُ تَمْتَنِعُ) فجعل في مجاورة الخائف لسيف الدولة امتناع له من ظلم غيره له، وهذا دليل على شجاعة سيف الدولة؛ لأنه منع الظالمين من الوصول إلي من التجأ إليه، فهذه كناية عن صفة الشجاعة، فالمكنى فيها هو امتناع الخائف الذي يجاور سيف الدولة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة وهو أمر معقول أيضاً، ويكون بذلك قد نقلنا الشاعر من معقول إلي معقول. والكناية الثانية في قوله (وَيَا أَيُّهَا مَحْرُومُ يَمِّمُهُ تُرْزُقُ) فجعل الذي يقصد سيف الدولة يصبح غنياً، وهذا يدل على كرمه، فهذه كناية عن الكرم، و المكنى فيها هو غنى الذي يقصد سيف الدولة، وهو أمر معقول، والمكنى عنه وهو الكرم أمر معقول أيضاً، فالكناية نقلتنا من المعقول إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر الكنايتين من حياة سيف الدولة.

(١) ديوان المتنبي ٢٢٢.

وهو أيضاً يجمع بين تلك الصفتين في بيت واحدٍ حيث يقول فيه^(١):

يا من يقتل من أراد بسيفه ** أصبحت من قتلاك بالإحسان

نجد الكناية الأولى في قوله (يا من يقتل من أراد بسيفه)، فسيف الدولة يقتل بسيفه كل شخص أراد قتله، وهذا يدل على شجاعتهم فهي إذن كناية عن الشجاعة، والمكنى فيها هو قتل سيف الدولة لمن يريد، وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الشجاعة، وهو أمر معقول أيضاً، فالشاعر إذن عوضنا قولاً بمعقول. والكناية الثانية في قوله (أصبحت من قتلاك بالإحسان) قتل سيف الدولة للمتنبى بالإحسان، يعني أنه أغرقه بالأموال، وهذا يدل على كرمه الشديد، وهذه كناية عن الكرم، والمكنى فيها هو أصبحت من قتلاك بالإحسان وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو الكرم وهو أمر معقول أيضاً، فالكناية إذن عوضتنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من حياة الممدوح.

ج/ الخوف:

كنى المتنبى عن هذه الصفة بكثير من العبارات المختلفة، وهذه الكنايات في النهاية تؤدي إلي شجاعة سيف الدولة.

أنظر إليه كيف عبّر عن الخوف في هذا البيت الذي يقول فيه^(٢):

سَنَّتْ بِهَا الْعَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا ** وَجَفْنُ الَّذِي خَلَفَ الْفَرَنْجَةَ سَاهِدُ

نجد الكناية في قوله (وَجَفْنُ الَّذِي خَلَفَ الْفَرَنْجَةَ سَاهِدُ) فعدم النوم دليل على الإحساس بالخوف من سيف الدولة، فهذه كناية عن الخوف، والمكنى فيها هو عدم نوم الروم وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الخوف وهو أمر معقول، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من واقع هذه المعارك، وهذه عندي من أروع الكنايات؛ لأن المتنبى أعطانا تعبيراً جيداً عن هذه الصورة الزمنية، وذلك إن عبر عن الخوف الشديد بعدم النوم، والأروع من ذلك هو أن جعل هذا الذي لا ينوم خوفاً من سيف الدولة جعله في الفرنجة في أقصى بلاد الروم، فكيف يكون حاله إذا كان قريباً عن سيف الدولة؟.

(١) ديوان المتنبى ٢٦٨.

(٢) ديوان المتنبى ٢٠٥.

وعن الخوف أيضاً يقول^(١):

وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ ** إِذَا ذَكَرْتُهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا^(٢)

حيث نجد الكناية في قوله (إِذَا ذَكَرْتُهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا)، أي أن قلبه امتلأ خوفاً عندما تذكر شدة الطعان الذي شاهده في المعركة، وذلك بعد أن هرب منها، ولم يصدق بأنه سلم منها، فيلمس جنبه، هل هو صحيح أم مطعون؟، وهذه كناية عن الخوف الشديد، ونجد المكنى هو لمس الجنب وهو أمر محسوس، لأننا نراه بأعيننا، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول؛ لأننا لا ندركه بالحواس، فالشاعر إذن نقلنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ هذه الصورة من أرض المعركة، ونجد هذه الكناية أيضاً للذي يقول^(٣):

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى ** على كبدي من خشية أن تصدعا

ومعناه أنه يلمس الجاني الذي فيه قلبه، هل يخفق قلبه خوفاً أم لا؟!.

كل من الشعارين عبّر عن الخوف، ولكن الخوف عند الشاعر الآخر أكثر؛ لأن الخوف يؤثر على دقات القلب، وقمة الخوف يكون القلب فيه يكاد أن يتوقف. ويعبر الشاعر عن الخوف بأمر آخر فيقول^(٤):

لَهُمْ عَنكَ بِالْبَيْضِ الْخِيفِ تَفَرُّقٌ ** وَحَوْلَكَ بِالْكَتُبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ

يكنى الشاعر عن الخوف بقوله (لَهُمْ عَنكَ بِالْبَيْضِ الْخِيفِ تَفَرُّقٌ)، فالروم يتفرقون عن سيف الدولة عندما يحاربهم، فتفرقهم عنه في الحرب دليل على خوفهم منه، فهذه كناية عن الخوف، والمكنى فيها وهو تفرقهم عنه في الحرب أمر محسوس، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول، فالكناية نقلتنا من عالم الحس إلي عالم العقل، وقد أخذ الشاعر الكناية من أرض المعركة. ويقول أيضاً عن الخوف^(٥):

وَإِذَا حَاوَلْتُ طِعَانَكَ خَيْلٌ ** أَبْصَرْتُ أَدْرَعَ الْقَنَا أَمْيَالًا

(١) ديوان المتنبي ٢١٠.

(٢) سورة: شَدَّةٌ .

(٣) الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد القرشي) - تحقيق: إبراهيم الأبياري، طباعة دار الكتب بمصر ، ج٥/١٢٧ نسب للصمة بن عبد الله القشيري.

(٤) ديوان المتنبي ٢٤٩.

(٥) ديوان المتنبي ٢٦٣.

نجد الكناية في قوله (أَبْصَرَتْ أَدْرُعَ الْقَنَا أُمَيَّالاً)، وفاعل أبصرت هو ضمير مستتر تقديره هي يعود إلي الخيل، والمراد الفرسان الذين يركبون الخيل، والمعنى أن العدو إذا أراد مطاعنة سيف الدولة، رأى رماحه طوالاً، حتى كأنه كل ذراع منها في الميل، وهذا ناتج عن خوفهم الشديد منه، فهذه كناية عن الخوف، الممكنى فيها هو تخيل العدو لذراع القنا بأنه ميل وهذا أمر معقول، والمكنى عنه وهو الخوف أمر معقول أيضاً، فالشاعر عوضنا معقولاً بمعقول، وقد أخذ هذه الكناية من أرض المعركة، وهذه كانت رائعة معبرة عن المعنى، فكأن الشاعر أخذ من قول الله تعالى^(١) (يرونهم مثلهم رأي العين).

د/ كثرة القتلى:

قام سيف الدولة بقتل أعداد كبيرة من الروم في هذه المعارك، وقد كنى عن كثرة هؤلاء القتلى بكثير من العبارات المختلفة، فأنظر إليه كيف عبر عن كثرة القتلى في قوله^(٢):

وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ * * فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَقٍ

الكناية في قوله (فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَقٍ) حيث سار رسول ملك الروم في الطريق الذي سار فيه سيف الدولة إلي الروم، فلم يسر إلا فوق هام مفلق بالسيوف، فسيره فوق الرعوس المفلقة، دليل على كثرتها، وكثرتها هذه دليل على كثرة القتلى، فهي إذن كناية عن كثرة القتلى، والمكنى فيها هو السير فوق الهام المغلقة، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً، لأن كثرة القتلى المقصود بها أن عدد القتلى كبير وهذا يمكن أن نشاهده بأعيننا، فالكناية عوضتنا محسوساً بمحسوس، والصورة أخذت من أرض المعركة. ويقول في موضع آخر^(٣):

سَقَّتْهَا الْعَمَامُ الْعُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ * * فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ

نجد الكناية في قوله (سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ) والضمير الهاء في سقتها يعود إلي مدينة الحدث، قامت الجماجم مقام المطر في السقيا، ولم يتم ذلك إلا عن طريق كثرة هذه الجماجم، وكثرة الجماجم تدل على كثرة القتلى، فهذه إذن كناية عن كثرة القتلى، والمكنى فيها هو سقي الجماجم

(١) سورة آل عمران، الآية ()

(٢) المرجع السابق ٢٢٢.

(٣) ديوان المتنبني ٢٤٥.

لمدينة الحدث، وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً،
فالشاعر عوضنا محسوساً بمحسوس، والكناية هنا مأخوذة من أرض الحدث.

وها هو يعبر عن كثرة القتلى بأمر مختلف فيقول^(١):

فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْعَدَائِرِ فَوْقَهُ ** وَبَنَى السَّيْفِينَ لَهُ مِنَ الصَّلْبَانِ

الكناية في قوله (فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْعَدَائِرِ فَوْقَهُ) أي أنه - سيف الدولة - صنع الحبال من
ذوائب شعر من قتلهم من الروم، وهذا يدل على أن هذه الذوائب كثيرة، وكثرة الذوائب دليل على
كثرة القتلى، فهذه إذن كناية عن كثرة القتلى، المكنى فيها فتل الحبال من ذوائب الشعر وهو
أمر محسوس، والمكنى عنه هو كثرة القتلى وهو أمر محسوس أيضاً، فالكناية إذن عوضتنا
محسوساً بمحسوس، وأخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

هـ/ الهزيمة :

الهزيمة إحدى الصفات التي كنى عنها المتنبي بجمل مختلفة، فهو يقول^(٢):

وَكُتَّ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ ** كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّمُسْتَقِ

حيث نجد الكناية في قوله (كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الدُّمُسْتَقِ)، فقد جعل الشاعر الجراح بمثابة
الكتابة لملك الروم، لأنه عندما يرجع الدمستق إلي ملكه فيجد هذه الجراح فيعرف أنه أنهزم،
وجعل الشاعر هذه الجراح في مؤخرة رأسه، وهذا دليل على أنه لم يواجه سيف الدولة بل أراد
الهروب فضربه سيف الدولة في مؤخرة رأسه، فهذه إذن كناية عن الهزيمة، والمكنى عنه وهو
الهزيمة أمر معقول، فالكناية نقلتنا من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية
من أرض المعركة.

ويقول في موضع آخر^(٣):

يُوجِّهَكَ مَا أَسَاكَ مِنْ مُرْشَةٍ^(٤) ** نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ

(١) المرجع السابق ٢٦٦.

(٢) المرجع السابق ٢٢٢.

(٣) ديوان المتنبي ٢٢٩.

(٤) المرشة : الهزيمة التي رش الدم.

الكناية هنا في قوله (بِوَجْهِكَ مَا أُنْسَاكَ مِنْ مُرْشَّةٍ) فالهاء في أنساكه تعود إلي ابن الدمستق، أي أن بوجه الدمستق ضربة أنسته ابنه وشغلته بنفسه، لأنه هرب، فهروبه دليل على هزيمته، وهذه إذن كناية عن الهزيمة، المكنى فيها هو جراح الدمستق التي أنسته ابنه، وهو شئ محسوس، والمكنى عنه وهو الهزيمة أمر معقول، فالكناية نقلتنا من عالم الحس إلي عالم العقل، وقد أخذ الشاعر هذه الكناية من أرض المعركة.

٢/ الكناية عن الموصوف:

وقد كنى المتنبي في هذه القصائد عن سيف الدولة وعن الشتاء.

عن سيف الدولة يقول^(١):

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَهَا ** فِي الدَّرْبِ وَالدُّمُّ فِي أَعْطَافِهِ دُفَعُ

فجملة الكناية في قوله (وَفَارِسُ الْخَيْلِ)، والمقصود بها الصفات التي نجدها في الفارس مثل الشجاعة والإقدام والهزيمة وغيرها، وأراد الشاعر بهذه الصفات سيف الدولة، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو سيف الدولة، والمكنى هنا هو فارس الخيل وهو أمر معقول، لأن تلك الصفات المقصودة تدرك بالعقل لا بالحواس، والمكنى عنه هو سيف الدولة وهو محسوس، لأننا نستطيع أن نراه بالعين، فالشاعر نقلنا من المعقول إلي المحسوس، وأخذ هذه الكناية من أرض المعركة.

ويكنى عنه في موضع آخر بقوله^(٢):

إِنَّ دُونََ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْذُ ** دَبَّ وَالنَّهْرُ مِخْلَطًا مِزْيَالًا

وجد الكناية في قوله (مِخْلَطًا مِزْيَالًا) والمخلط هو الرجل الذي يخلط بين الجيشين، والمزبال هو الذي يميز بينهما، وهذه الصفات تدل على الشجاعة، وأراد بكل ذلك سيف الدولة، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو سيف الدولة، والمكنى فيها هو المخلط المزبال وهو أمر معقول، والمكنى عنه هو سيف الدولة وهو محسوس، فالكناية نقلتنا من المعقول إلي المحسوس.

وعن الشتاء بقوله^(١)

(١) المرجع السابق ٢٠٠

(٢) المرجع السابق ٢٦٤

أخو غزواتٍ ما تُعبُّ سُوْفُهُ رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدٌ

الكناية في قوله (وسِيحَانُ جَامِدٌ)، وسيحان هذا نهر، وجمود هذا النهر إنما يكون في فصل الشتاء، فهذه إذن كناية عن موصوف وهو الشتاء، والمكنى هو جمود نهر سيحان وهو أمر محسوس، والمكنى عنه هو الشتاء وهو أمر معقول، فقد نقلنا الشاعر من المحسوس إلي المعقول، وقد أخذ هذه الكناية من طبيعة هذا النهر.

٣ / الكناية عن النسبة:

أما النوع الثالث من أنواع الكناية وهو الكناية عن نسبه فلم نجد له مثلاً في قصائد المتنبي في وصف معارك سيف الدولة مع الروم. نخلص من هذا الفصل إلي أن المتنبي، قد ربط لنا بين المعاني والصور التي استخدمها في وصف هذه المعارك وقربها إلي مفهومها ووضحها لنا أكثر، وأيضاً جسّد لنا المعاني العقلية في صورة محسوسات، وأضفى على بعض المحسوسات نوعاً من الحركات والأصوات التي لم تكن موجودة بها، وعبر لنا تعبيراً جيداً عن بعض الصور الذهنية.

الخاتمة والنتائج

انتهى من هذا البحث بعدة نتائج أهمها أن المتنبي استطاع تصوير المعارك بين سيف الدولة والروم تصويراً دقيقاً وقد زاد من ذلك الإبداع طبعه ونفسه التي تميل إلى القوة وصدقه في التصوير، وقد اتصف جيش سيف الدولة بالقوة والإقدام والبسالة أمام المعارك التي خاضها ضد الروم، وكان السلاح المستخدم في تلك المعارك هو السيوف والرماح، وكان سيف الدولة يفضل السيف؛ لأنه سلاح الشجعان.

تعددت مقدمات قصائد المتنبي في وصف هذه المعارك، بوصفه للمعركة مباشرة دون تمهيد أو تقديم، إلا في قليل من هذه القصائد التي بدأها بالغزل والنسيب، وقد اهتم المتنبي بالتخلص اهتماماً شديداً، وكان تخلصه من النوع السهل، وكان يختتم هذه القصائد في الغالب إما بذكر النصر أو بالحكمة التي اشتهر بها.

استخدم المتنبي خمسة بحور فقط في هذه القصائد، وهي أكثر بحور الشعر استخداماً من قبل الشعراء وهي: الطويل، البسيط، الكامل، الخفيف، الوافر، ومن الملاحظ أنه استخدم بحر الطويل في أكثر هذه القصائد.

وقد استخدم المتنبي الصور البيانية في وصفه لهذه المعارك أحسن استخدام وأكثر الصور التي استخدمها هي التشبيه والاستعارة والكناية.

وأيضاً من النتائج قوة الشاعرية عند المتنبي في هذه القصائد، وكان تعبيره قوياً ودقيقاً، فكان المتنبي قوياً في عباراته ومعانيه، وأخيلته وبدائع افتنانه، ولا يكاد أن يسبقه في هذا الميدان أحد من الشعراء العرب حتى اليوم، وقد قامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى يظن أن الفريقان قد تقابلا، والسلاحين قد تواملا.

وقد تميز المتنبي عن كثير من الشعراء في الوصف وقد تمكن المتنبي من استخدام الدلالات اللغوية والبيانية.

فهرس البلدان

١. الدرب: بلد معروف من بلاد الروم وهو المدخل إلى بلاد الروم.
٢. الرّان: حصن من بلاد الأرمن.
٣. آمد: لفظة رومية، وهي بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود على دجلة . محيطة
بأكثره مستديرة به كالهلال.
٤. اللقان: بلد بالروم وراء خرشنة بيومين.
٥. الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش.
٦. الأحيدب : موضع وقيل اسم الجبل الذي عليه قلعة الحدث.
٧. حران: مدينة بالشام.
٨. خرشنة: بلد بالروم.
٩. سمنين: بلد بالروم.
١٠. عرقة : مدينة بالشام.
١١. منبج: مدينة بالشام.
١٢. موزار: بلد بالروم.
١٣. مرعش: مدينة كان سيف الدولة جدد بناءها.

المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو هلال العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)- الصناعتين- تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم- طباعة ونشر دار الفكر العربي- الطبعة الثانية.
- ٣- أو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد القرشي) الأغاني - تحقيق إبراهيم الأبياري، طباعة دار الكتب بمصر.
- ٤- ابن رشيقي (ابن علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي) العمدة- دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة- بيروت، الطبعة الخامسة.
- ٥- ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير) المثل السائر- تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طباعة ونشر مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى.
- ٦- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف للنشر - مصر.
- ٧- ابن جني (عثمان بن الفتح) الفسر، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع للنشر، دمشق، الطبعة الأولى.
- ٨- ابن الاقليلي (أبو القاسم إبراهيم بن محمد) شرح شعر المتنبي، تحقيق مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى.
- ٩- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، طباعة ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة.
- ١٠- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى الباب الحلبي للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ١١- الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) أسرار البلاغة - تحقيق السيد محمد رشيد رضا -طباعة المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين.
- ١٢- الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني) دلائل الإعجاز- تحقيق محمود محمد شاكر- القاهرة - طباعة مطبعة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٣- العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني) الطراز، راجعة وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت: لبنان.

- ١٤- العكبري (أبي البقاء العكبري) شرح ديوان أبو الطيب المتنبي، ضبطه وصححه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت - لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنشر .
- ١٥- ديوان المتنبي ،دار صادر- بيروت ،الطبعة الثانية .
- ١٦- زكي المحاسن، شعر الحرب في أدب العرب، مصر دار المعارف للطباعة والنشر، مصر .
- ١٧- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، القاهرة - مطبعة دار المعارف للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.
- ١٨- طه حسين : مع المتنبي، مصر دار المعارف للطباعة والنشر .
- ١٩- عبد الله الطيب، المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية.
- ٢٠- عباس حسن: المتنبي وشوقي، دار المعارف للطباعة، مصر .
- ٢١- محمد مندور : الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة.
- ٢٢- محمود محمد شاكر: المتنبي، طبع بمصر، القاهرة.
- ٢٣- محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر .
- ٢٤- يوسف البديعي: الصبح المنبئ عن حيثة المتنبي، مصر تحقيق مصطفى السقا، محمد شتا، عبد زياد، دار المعارف للطباعة، .
- ٢٥- يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء الحديث، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٣	تمهيد
الباب الأول: وصف المعركة	
١٠	الفصل الأول: وصف ميدان المعركة
١٠	المبحث الأول: وصف الخيل
١٩	المبحث الثاني: وصف الجيوش
٢٨	المبحث الثالث: وصف القتال والسلاح
٣٧	الفصل الثاني: أثر المعركة
٣٧	أولاً: إظهار القوي من الضعيف
٣٨	ثانياً: سيطرة الخوف على المهزوم
٤٦	ثالثاً: الخسائر في الأرواح
٥٠	رابعاً: سبي النساء
٥٢	خامساً: خراب ودمار
٥٣	سادساً: بطل المعركة
الباب الثاني: الدراسة الفنية	
٦٧	الفصل الأول: بناء القصيدة
٦٧	المبحث الأول: بناء المطلع
٨٤	المبحث الثاني: موسيقى القصيدة
٩٢	الفصل الثاني: الصورة البيانية
٩٢	المبحث الأول: التشبيه
١٠٣	المبحث الثاني: الاستعارة
١١٣	المبحث الثالث: الكناية
١٢٤	الخاتمة والنتائج
١٢٥	فهرس البلدان
١٢٦	فهرس المصادر والمراجع